تفسير سورة النبأ: دراسة في التفسير الموضوعي.

إعـــداد:

د. نجاح بنت محمد يوسف فتحي بنجابي

أستاذ مشارك بقسم المواد العامة التخصص العام: الكتاب والسنة
التخصص الدقيق: التفسير وعلوم القرآن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز المملكة العربية السعودية

تفسير سورة النبأ: دراسة في التفسير الموضوعي.

د . نجاح بنت محمد يوسف فتحي بنجابي
أستاذ مشارك بقسم المواد العامة التخصص العام: الكتاب والسنة
التخصص الدقيق: التفسير وعلوم القرآن كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز المملكة العربية السعودية

• مستخلص البحث:

عنوان هذا البحث هو: (سورة النبأ، دراسة في التفسير الموضوعي) ويقوم هذا البحث على أحد أنواع التفسير الموضوعي، وهو: التفسير الموضوعي للسور القرآنية، بحيث يختار الباحث سورة من القرآن، تكون مدار بحثه، ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة. والسورة التي عليها مدار هذا البحث هي سورة: (النبأ)، وقد خلص البحث إلى أنَّ موضوع سورة النبأ الذي ترجع إليه جميع مقاصد السورة وموضوعاتها الفرعية هو قضية البعث والنشور، وقد بدأت السورة بعرض تساؤل الكفار عن النبأ العظيم، ثم أكدت وقوع البعث، ثم ذكرت الآيات الكونية المتعددة والشاهدة على قدرة الله تعالى التي تجعلنا لحقيقة إمكانية البعث بعد الموت، ثم أخبرت عن بعض أهوال يوم البعث، ثم ذكرت مآل الكافرين وبعض عذابهم، ثم مآل المتقين وبعض نعيمهم، ثم ختمت السورة بالتأكيد على وقع يوم البعث، وأنه حقيقة لا شك في وقوعها، فمن شاء فليؤمن ، وأنه تعالى قد أنذرنا يوما ينظر فيه كل امرئ ما قدمت يداه، ويتمنى الكافر لو أنه كان ترابًا. وقد خرج البحث بأهم الهدايات الربانية في السورة. وبأهم توصيات البحث، ومنها أن يتم دراسة السور الأخرى بمنهجية موضوعية حتى نخرج بوحدة موضوعية للقرآن كاملا. والله ولي التوفيق.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي ، سورة النبأ

(Surat An-Nabaa': A Study In Objective Tafseer).

Dr . Najah bint Mohammad Yosuf Fathi Punjabi

Abstract

The research is based on one branch of the objective Tafsir, which is the objective explanation of Quran's Surahs, in which a researcher chooses a Surah to conduct a comprehensive study on its topic. This study focuses on Surat An-Nabaa', which mainly revolves on the case of resurrection. After starting by declaring the question of disbelievers about the great news, the Surah then affirms the resurrection by stating the numerous universal signs that indicate Allah's ability of rising the dead. The Surah later reveals some of the horrors of resurrection day, the fate of the disbelievers and some of their torment, and the fate of the righteous believers and some of their blessing. At the end of the Surah, the day of reckoning is confirmed to be an established fact, in which whoever chooses to believe would take a return to his lord. Allah warns us that day will come when we shall see the deeds that have been sent forth by our hands, and the disbeliever will wish he were dust. This research highlighted the most important divine guidance in Surat An-Nabaa', concluding with the recommendation of applying the objective Tafsir on the other Surahs to reach for a thematic unit of the Quran, and may Allah grant us success.

Keywords: Objective Tafseer , Surat An-Nabaa'

• المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي شرَّفَنا بهذا القرآن العظيم، وجعله لنا هدىً ونورًا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فهذا بحث في التفسير الموضوعي، وهو بعنوان: (سورة النبأ، دراسة في التفسير الموضوعي).

• سبب اختيار الموضوع وأهميته:

لا يخفى على المهتم بعلوم القرآن ما للتفسير الموضوعي من أهمية في هذا العصر، وقد اهتم الباحثون به؛ فألفوا فيه العديد من المؤلفاتٍ والرسائل الجامعية. ولقد اخترت سورة (النبأ) لكي أدرسها، وأفسرها تفسيرا موضوعيا، وذلك لما أجده من روعة الآيات ومعانيها في هذه السورة العظيمة، والتي لا يمل القارئ من قراءتها مرارا وتكرارا، وإن كان هذا الكلام ينطبق على كل سورة من سور القرآن الكريم، لكن اختياري لهذه السورة تحديدا لكونها أول سورة في الجزء الأخير من القرآن الكريم، فإني آمل أن ألحق هذه السورة بأخواتها من السور، حتى نهاية الجزء، وذلك في بحوث ودراسات أخرى في المستقبل، إن شاء الله تعالى.

• خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، و فصلين ، و خاتمة، ثم ذكرت أهم الفهارس العلمية. وفيما يأتي تفصيل هذه الخطة:

- المقدمة: تشمل سبب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة البحث، ومنهجي في كتابته.
- الفصل الأول: المدخل لدراسة السورة.
- وفيه مبحثان:
  - ✓ المبحث الأول: أسماء السورة، وسبب التسمية بها، وعدد آياتها ونوعها.
  - ✓ المبحث الثاني: سبب نزول السورة، ومناسبتها لما قبلها، وموضوعها الرئيسي:
- الفصل الثاني: موضوعات سورة النبأ الفرعية، وارتباطها بالموضوع الرئيسي.
- وفيه ستة مباحث:
  - ✓ المبحث الأول: الإنكار على تساؤل الكفار عن البعث.
  - ✓ المبحث الثاني: تعداد بعض نعم الله تعالى التي تتجلى فيها قدرته على البعث.
  - ✓ المبحث الثالث: تقرير البعث يوم القيمة، وذكر بعض أهواله.
  - ✓ المبحث الرابع: بيان جزاء الظالمين يوم القيامة.
  - ✓ المبحث الخامس: بيان جزاء المؤمنين يوم القيامة.
  - ✓ المبحث السادس: بيان موقف الخلائق بين يدي الله تعالى يوم القيامة.

- الخاتمة: أذكر فيها أهم نتائج البحث
- أهم الفهارس العلمية.

• منهجي في البحث:

- جمعت أبرز أقوال المفسرين في تفسير السورة.
- ذكرت في الفصل الأول مدخل للسورة.
- بيَّنت موضوع السورة الرئيس.
- قسمت آيات السورة إلى موضوعات فرعية، وقمت بتفسيرها، وبيان ارتباطها بالموضوع الرئيس
- وضحت أبرز الهدايات الربانية والأحكام الشرعية المستنبطة من السورة.
- اعتمدت في النصوص القرآنية على المكتبة الشاملة، ولم استخدم الأقواس المزهرة، وذلك لتسهل طباعة البحث، ونشره.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، ويجعل هذه الدراسة منطلقاً لدراسة كل سور القرآن. آمين.

• الفصل الأول: المدخل لدراسة السورة.

وفيه مبحثان:

• المبحث الأول: أسماء السورة، وسبب التسمية بها، وعدد آياتها ونوعها.

وفيه ثلاثة مطالب، وهي:

• المطلب الأول: أسماء السورة وسبب التسمية:

تسمى بعدة أسماء (١) وهي:

- سورة (النبأ)، وسميت بذلك لورود لفظ (النبأ) فيها.
- سورة (عمَّ)، وسميت بذلك لابتدائها بلفظ (عمَّ).
- سورة (عمَّ يتساءلون)، وسميت بذلك لأنها أول آية فيها.
- سورة (التساؤل)، لابتدائها بالاستفهام عن تساؤل الكافرين عن يوم البعث.
- سورة (المعصرات) وسميت بذلك لورود لفظ (المعصرات) فيها.

• المطلب الثاني: عدد آيات السورة:

- عدَّ آياتها أصحاب العدد من أهل المدينة والشام والبصرة: أربعين آية.
- وعدَّها أهل مكة وأهل الكوفة: إحدى وأربعين آية (٢).

• المطلب الثالث: نوع السورة:

- مكية بالاتفاق (٣).

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (١٧٦/١) وروح المعاني للألوسي (٢٠١/١٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٤/١٥)

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤/١٥).

(٣) انظر: الإتقان للسيوطي (١٧٦/١) وروح المعاني للألوسي (٢٠١/١٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٤/١٥).

- **المبحث الثاني: سبب نزول السورة، ومناسبتها لما قبلها، وموضوعها الرئيسي:**

- وفيه ثلاثة مطالب، وهي:

- **المطلب الأول: سبب نزول السورة:**

- روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت قريش تجلس، لما نزل القرآن، فتتحدث فيما بينها، فمنهم المصدق ومنهم المكذب به، فنزلت {عَمَّ يَتَسَاءلونَ}.
- وعن الحسن ﷺ قال: لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: {عَمَّ يَتَسَاءلونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ} [النبأ:١-٢]

- **المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها:**

وجه مناسبة السورة لما قبلها يتمثل في عدة نقاط وهي:

- اشتمال السورة على إثبات القدرة على البعث، إذ دلَّت آيات سورة المرسلات قبل هذه السورة على تكذيب الكفرة به، فجاءت سورة النبأ ترد على الكفار وتجيب على تساؤلاتهم. فقد ختم سبحانه وتعالى سورة (المرسلات) بالإنكار على الكفار تكذيبهم بالبعث، فقال تعالى: **{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}** [المرسلات:٥٠] ، وافتتح سورة النبأ بتهويل تساؤلهم عنه واستهزائهم به. فقال تعالى: **{عَمَّ يَتَسَاءلونَ}** [النبأ:١] (٤).
- تناسب الجمل في سورة (النبأ) مع الجمل في سورة (المرسلات) فإنّ الله تعالى يقول في سورة (المرسلات): **{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ}** [المرسلات:١٦].
- ويقول سبحانه: **{أَلَمْ نَخْلُقكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ}** [المرسلات:٢٠].
- **ويقول سبحانه وتعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا}** [المرسلات:٢٥].
- وفي سورة (النبأ) يقول تعالى: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}** [النبأ:٦].
- إشتراك سورة (النبأ) مع السور الأربع قبلها: (المرسلات، الإنسان، القيامة، المدثر)، في الاشتمال على:
  - ✓ وصف الجنة والنار.
  - ✓ وصف يوم القيامة وأهواله.
  - ✓ ذكر بدء الخلق وإقامة الدليل على البعث.
- في هذه السورة شرح وبيانٌ ليوم الفصل المجمل ذكره في سورة (المرسلات)، وذلك أن الله تعالى يقول في سورة المرسلات: **{لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ}** [المرسلات:١٢-١٤]. وفي سورة (النبأ) يقول الله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا *يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ:١٧-١٨].

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي(٢٠١/١٥).

• **المطلب الثالث: موضوع السورة التي ترجع إليه جميع مقاصد السورة وموضوعاتها الفرعية:**

موضوع السورة الرئيسي هو قضية يوم البعث(٥).

فقد اشتملت هذه السورة على وصف خوض المشركين في شأن القرآن، وما جاء به مما يخالف معتقداتهم، ومع ذلك إثبات البعث، وسؤال بعضهم بعضا عن الرأي في وقوعه مستهزئين بالإخبار عن وقوعه. وتهديدهم على استهزائهم.

وفيها إقامة الحجة على إمكان البعث بخلق المخلوقات، التي هي من أعظم من خلق الإنسان بعد موته، وبالخلق الأول للإنسان وأحواله.

ووصف الأهوال الحاصلة عند البعث من عذاب الطاغين مع مقابلة ذلك بوصف نعيم المؤمنين.

وصفة يوم الحشر إنذاراً للذين جحدوا به، والإيماء إلى أنهم يعاقبون بعذاب قريب قبل عذاب يوم البعث.

وأدمج في ذلك أنَّ علم الله تعالى محيط بكل شيء، ومن جملة الأشياء أعمال الناس (٦).

• **الفصل الثاني: موضوعات سورة النبأ الفرعية وارتباطها بالموضوع الرئيسي:**

ويشمل ستة مباحث وهي:

- المبحث الأول: الإنكار على تساؤل الكفار عن البعث، الآيات (١-٥)
- المبحث الثاني: تعداد بعض نعم الله تعالى والتي تتجلى فيها قدرته على البعث الآيات (٦-١٦)
- المبحث الثالث: تقرير البعث يوم القيمة، وذكر بعض أهواله الآيات (١٧-٢٠)
- المبحث الرابع: بيان جزاء الظالمين يوم القيامة الآيات (٢١-٣٠)
- المبحث الخامس: بيان جزاء المؤمنين يوم القيامة الآيات (٣١-٣٦)
- المبحث السادس: بيان موقف الخلائق بين يدي الله تعالى يوم القيامة الآيات (٣٧-٤٠).

• **المبحث الأول: الإنكار على تساؤل الكفار عن البعث الآيات [١-٥]**

• **المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ:١]:**

افتتحت السورة بالاستفهام عن تساؤل جماعة عن نبأ عظيم؛ افتتاح تشويق ثم تهويل لما سيذكر بعده، فهو من الفواتح البديعة؛ لما فيها من أسلوب

(٥) وردت روايات في التفسير أن معنى (النبأ العظيم) هو القرآن، ولكن لا يتعارض هذا مع ما اخترته من معنى، فإن أعظم القضايا التي جاء بها القرآن هي قضية البعث والنشور، ومضمون السورة يشير إلى هذا المعنى كما يتبين من خلال البحث بإذن الله.

(٦) التحرير والتنوير لابن عاشور(٦/١٥).

عزيز غير مألوف، ومن تشويق بطريقة الإجمال ثم التفصيل، المحصلة لتمكن الخبر الآتي بعده في نفس السامع أكمل تمكن.

وإذا كان هذا الافتتاح مؤذناً بعظيم أمر، كان مؤذناً بالتصدي لقول فصل فيه، ولما كان في ذلك إشعار بأهم ما فيه خوضهم يومئذ يجعل افتتاح الكلام به من براعة الاستهلال (٧).

لفظ (عمّ): مركب من كلمتين هما: حرف (عن) الجار، و(ما) التي هي اسم استفهام بمعنى: أي شيء.

ويتعلق (عمّ) بفعل (يتساءلون) فهذا مركب.

وأصل ترتيبه: يتساءلون عن ما، فقدم اسم الاستفهام، لأنهٍ لا يقع إلا في صدر الكلام المستفهم به، وإذا قد كان اسم الاستفهام مقترنا بحرف الجر الذي تعدي به الفعل إلى اسم الاستفهام، وكان الحرف لا ينفصل عن مجروره، قدما معا فصار عمّا يتساءلون.

وقد جرى الاستعمال الفصيح على أن (ما) الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر، يحذف الألف المختومة هي به، تفرقة بينها وبين (ما) الموصولة، وعلى ذلك جرى استعمال نطقهم، فلما كتبوا المصاحف جروا على تلك التفرقة في النطق فكتبوا (ما) الاستفهامية بدون ألف حيثما وقعت (٨).

مثل قوله تعالى: {فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا} [النازعات:٤٣] وقوله: { فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر:٥٤](٩).

ولما بقيت كلمة (ما) بعد حذف ألفها على حرف واحد، جروا في رسم المصحف على أن ميمها الباقية تكتب متصلة بحرف (عن) لأنَّ (ما) لما حذف ألفها بقيت على حرف واحد، فأشبه حروف التهجي، فلما كان حرف الجر الذي قبل (ما) مختوما بنون والتقتٍ النون مع ميم (ما)، والعرب ينطقون بالنون الساكنة التي بعدها ميم ميما ويدغمونها فيها، فلماٍ حذفت النون في النطق جرى رسمهم على كتابة الكلمة محذوفة النون تبعا للنطق، ونظيره قوله تعالى: { مِمَّ خُلِقَ} [الطارق:٥] (١٠).

- **يتساءلون:**
- **التساؤل: تفاعل. وحقيقة صيغة التفاعل تفيد أحد معنيين:**
  - صدور معنى المادة المشتقة منها مِن الفاعل إلى المفعول، وصدور مثله من المفعول إلى الفاعل، وترد كثيرا لإفادة تكرر وقوع ما اشتقت منه نحو قولهم: ساءل، بمعنى: سأل (١١).

---

(٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٦/١٥).
(٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/١٥).
(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور(٧/١٥).
(١٠) انظر: تفسير القرطبي (١٧٠/١٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٧/١٥).
(١١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/١٥).

- تجيء لإفادة قوة صدور الفعل من الفاعل، نحو قولهم: عافاك الله، وذلك إما كناية أو مجاز.

ومحمله في الآية على جواز الاحتمالات السابقة، وذلك من إرادة المعنى الكنائي مع المعنى الصريح، أو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، وكلا الاعتبارين صحيح في الكلام البليغ فلا وجه لمنعه.

فيجوز أن تكون مستعملة في حقيقتها، بأن يسأل بعضهم بعضاً سؤال متطلع للعلم، لأنهم حينئذ لم يزالوا في شك من صحة ما أنبئوا به، ثم استقر أمرهم على الإنكار.

ويجوز أن تكون مستعملة في المجاز الصوري يتظاهرون بالسؤال وهم موقنون بانتفاء وقوع ما يتساءلون عنه، على طريقة استعمال فعل (يحذر) في قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ} [التوبة:٦٤] فيكونون قصدوا بالسؤال الاستهزاء(١٢).

- **حقيقة الاستفهام:**

والاستفهام في قوله (عمّ يتساءلون) ليس استفهاماً حقيقياً، بل هو مستعمل في التشويق إلى تلقي الخبر، والموجه إليه الاستفهام من قبيل خطاب غير المعين.

قال الكلبي: "وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام وإنما المراد تفخيم الأمر" (١٣).

- **المراد من الضمير في: [يتساءلون]:**

الضمير في (يتساءلون) لكفار قريش أو لجميع الناس، ومعناه: يسأل بعضهم بعضا عن النبأ العظيم (١٤).

ضمير يتساءلون يجوز أن يكون ضمير جماعة الغائبين مراداً به المشركون، ولم يسبق لهم ذكر في هذا الكلام، ولكن ذكرهم متكرر في القرآن، فصاروا معروفين بالقصد من بعض ضمائره وإشاراته المبهمة، كالضمير في قوله تعالى: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} [ص:٣٢]: يعني الشمس(١٥).

- **المطلب الثاني: قوله تعالى: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ:٢]:**
- **مناسبة الآية لما قبلها:**

لما كان الاستفهام مستعملاً في غير طلب الفهم؛ حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} .

---

(١٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٨/١٥).
(١٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧١/٣)
(١٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧١/٣)
(١٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(٩/١٥).

فجوابه مستعمل بياناً لما أريد بالاستفهام من الإجمال، لقصد التفخيم، فبيّن جانبِ التفخيم ونظيره قوله تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۞ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٢]

فكأنه قيل: هم يتساءلون عن النبأ العظِيم.

النبأ: الخبر، قيل: مطلقا، فيكون مرادفا للفظ الخبر.

قال الراغب: النبأ: الخبر ذو الفائدة العظيمة، يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ويكون صادقا، وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أنْ يتعرى عن الكذب كالتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر النبي عليه الصلاة والسلام (١٦).

• **العظيم:**

ووصف (النبأ) بـ(العظيم) هنا: زيادة في التنويه به، لأن كونه وارداً من عالم الغيب زاده عظمة أوصال وأهوال، فوصف النبأ بالعظيم باعتبار ما وصف فيه من أحوال البعث في ما نزل من آيات القرآن قبل هذا. ونظيره قوله تعالى: {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} [ص: ٦٧-٦٨]

والتعريف في (النبأ) تعريف الجنس، فيشمل كل نبأ عظيم، أنبأهم الرسول صلى الله عليه وسلم به، وأول ذلك إنباؤه بأن القرآن كلام الله، وما تضمنه القرآن من إبطال الشرك، ومن إثبات بعث الناس يوم القيامة (١٧).

وروي عن بعض السلف تعيين نبأ خاص فعن ابن عباس رضي الله عنه: هو القرآن، وعن مجاهد وقتادة: هو البعث يوم القيامة.

وتحمل أقوالهم على التمثيل، والله أعلم(١٨).

وسوق الاستدلال بقوله: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [سورة النبأ:٦] إلى قوله: {وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} [النبأ:١٦] يدل دلالة بينة على أنَّ المراد من {النَّبَإِ الْعَظِيمِ} الإنباء بأنَّ الله واحد لا شريك له (١٩).

• **المطلب الثالث: قوله تعالى: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [سورة النبأ:٣]**

الضمير في: {هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} يجري فيه الوجهان المتقدمان في قوله: (يتساءلون) (٢٠).

واختلافهم في النبأ اختلافهم فيما يصفونه به، كقول بعضهم كما أخبر عنهم المولى عز وجل: {لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ

(١٦) المفردات في غريب القرآن للراغب (٤٨١/١).

(١٧) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧١/٣)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير(٣٠٢/٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/١٥).

(١٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/١٥).

(١٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠/١٥).

(٢٠) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(٢٧١/٣).

الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٨٣] وقول بعضهم: هذا كلام مجنون، وقول بعضهم: هذا كذب، وبعضهم: هذا سحر، وهم أيضا مختلفون في مراتب إنكارهم. فمنهم من يقطع بإنكار البعث(٢١). مثل الذين حكى الله عنهم بقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ:٧]، ومنهم من يشكون فيه كالذين حكى الله عنهم بقوله: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} [الجاثية:٣٢] (٢٢).

• **المطلب الرابع: قوله تعالى: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ:٤]:**

(كلا) حرف ردع وإبطال لشيء يسبقه غالبا في الكلام، يقتضي ردع المنسوب إليه وإبطال ما نسب إليه، وهو هنا ردع للذين يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، على ما يحتمله التساؤل من المعاني المتقدمة، وإبطال لما تضمنته جملة (يتساءلون) من تساؤل معلوم للسامعين.

فموقع الجملة: موقع الجواب عن السؤال، ولذلك فصلت ولم تعطف، لأنّ ذلك طريقة السؤال والجواب (٢٣).

والكلام وإن كان إخباراً عنهم، فإنهم المقصودون به، فالردع موجه إليهم بهذا الاعتبار.

والمعنى: إبطال الاختلاف في ذلك النبأ، وإنكار التساؤل عنه ذلك التساؤل، الذي أرادوا به الاستهزاء وإنكار الوقوع، وذلك يثبت وقوع ما جاء به النبأ، وأنه حق لأنّ إبطال إنكار وقوعه يفضي إلى إثبات وقوعه.

والغالب في استعمال (كلا) أنْ تعقب بكلام يبين ما أجملته من الردع والإبطال، فلذلك عقبت هنا بقوله (سيعلمون)، وهو زيادة في إبطال كلامهم بتحقيق أنهم سيوقنون بوقوعه، ويعاقبون على إنكاره، فهما عِلمَان يحصلان لهم بعد الموت: علم بحق وقوع البعث، وعلم في العقاب عليه(٢٤).

ومن محاسن هذا الأسلوب في الوعيد: أن فيه إيهاماً بأنهم سيعلمون جواب سؤالهم، الذي أرادوا به الإحالة والتهكم، وصوروه في صورة طلب الجواب، فهذا الجواب من باب قول الناس: الجواب ما ترى لا ما تسمع (٢٥).

• **المطلب الخامس: قوله تعالى: {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ:٥]:**

ارتقاء في الوعيد والتهديد، فإن (ثم) لما عطفت الجملة فهي للترتيب الرتبي، وهو أن مدلول الجملة التي بعدها أرقى رتبة في الغرض من مضمون الجملة التي قبلها، ولما كانت الجملة التي بعد (ثم) مثل الجملة التي قبل

(٢١) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٠/١٥).
(٢٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧١/٣)
(٢٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(١١/١٥).
(٢٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١١/١٥).
(٢٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/١٥).

(ثم) تعين أن يكون مضمون الجملة التي بعد (ثم) أرقى درجة من مضمون نظيرها.

قال البغوي: " وعيد لهم على أثر وعيد"(٢٦).

وقال الكلبي:" (كلا سيعلمون) ردع وتهديد، ثم كرره للتأكيد"(٢٧).

- **المبحث الثاني: تعداد بعض نعم الله تعالى والتي تتجلى فيها قدرته على البعث الآيات [٦-١٦]**
- **المطلب الأول: قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ:٦]:**

مناسبة الآيات بما قبلها: لما كان أعظم نبأ جاءهم به القرآن، إبطال إلهية أصنامهم، وإثبات إعادة خلق أجسامهم، وهم الأصلان اللذان أثارا تكذيبهم بأنه من عند الله، وتألبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترويجهم تكذيبه، جاء هذا الاستئناف بيانا لإجمال قوله: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [(النبأ:٢-٣](٢٨).

وجمع الله لهم في هذه الآيات للاستدلال على الوحدانية بالانفراد بالخلق. وعلى إمكان إعادة الأجساد للبعث بعد البلى، بأنها لا تبلغ مبلغ إيجاد المخلوقات العظيمة.

ولكون الجملة في موقع الدليل لم تعطف على ما قبلها.

والكلام موجه إلى منكري البعث، وهم الموجه إليهم الاستفهام، فهو من قبيل الالتفات، لأن توجيه الكلام في قوة ضمير المخاطب، بدليل عطف: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبأ:٨] عليه.

- **نوع الاستفهام في [ألم نجعل]:**

والاستفهام في (ألم نجعل) تقريري، وهو تقرير على النفي كما هو غالب صيغ الاستفهام التقريري، أن يكون بعده نفي، والأكثر كونه بحرف (لم)، وذلك النفي كالإعذار للمقرَّر إن كان يريد أن ينكر، وإنما المقصود التقرير بوقوع جعل الأرض مهادا، لا بنفيه بحرف النفي لمجرد تأكيد معنى التقرير (٢٩).

فالمعنى: أجعلنا الأرض مهاداً، ولذلك سيعطف عليه : {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبأ:٨]

ولا يسعهم إلا الإقرار به، قال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [الزخرف:٨٧] ، وحاصل الاستدلال بالخلق الأول لمخلوقات

(٢٦) معالم التنزيل للبغوي (٣٠٩/٨)

(٢٧) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧١/٣)

(٢٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣/١٥).

(٢٩) انظر: تفسير القرطبي (١٧١/١٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(١٣/١٥).

عظيمة، أنه يدل على إمكان الخلق الثاني، لمخلوقات هي دون المخلوقات الأولى، قال تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر:٥٧] أي(خلق الناس الثاني)(٣٠).

- **وجَعَل الأرض:**

فيها وجهان:

الوجه الأول: خلقها على تلك الحالة، لأن كونها مهاداً أمر حاصل فيها من ابتداء خلقها، ومن أزمان حصول ذلك لها من قبل خلق الإنسان، لا يعلمه إلا الله.

والتعبير بـ(نجعل) دون: نخلق، لأن كونها مهاداً حالة من أحوالها عند خلقها أو بعده، بخلاف فعل الخلق؛ فإنه يتعدى إلى الذات غالبا، أو إلى الوصف المقوم للذات، نحو قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ } [الملك:٢](٣١).

الوجه الثاني: جعل بمعنى صيّر، أي صيّرها ممهدة.

قال القرطبي: "دلهم على قدرته على البعث. أي: قدرتنا على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة"(٣٢).

والمهاد: بكسر الميم الفراش الممهد الموطأ؛ قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا } [البقرة:٢٢].

والمهاد يراد به المهد الذي يجعل للصبي. وقرئ: مهداً، ومعناه: أنها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه، فهو تشبيه للأرض به، إذ جعل سطحها ميسرا للجلوس عليها والاضطجاع، وبالأحرى المشي، وذلك دليل على إبداع الخلق والتيسير على الناس، فهو استدلال يتضمن امتنانا، وفي ذلك الامتنان إشعار بحكمة الله تعالى، إذ جعل الأرض ملائمة للمخلوقات التي عليها، فإنّ الذي صنع هذا الصنع لا يعجزه أنْ يخلق الأجسام مرة ثانية بعد بلاها (٣٣).

- **أوجه القراءات:**

قرأ الجمهور: مِهَاداً.

وقرأ مجاهد وعيسى وبعض الكوفيين: مهداً بفتح الميم وسكون الهاء (٣٤).

الغرض من الامتنان هنا: تذكيرهم بفضل الله لعلهم أن يرعوا عن المكابرة، ويُقبلوا على النظر فيما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغا عن الله تعالى.

---

(٣٠) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٣/١٥).

(٣١) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٣/١٥-١٤).

(٣٢) انظر: تفسير القرطبي (١٧١/١٩)، و التفسير الكبير للرازي(٦/٣١)، و التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/١٥).

(٣٣) تفسير القرطبي (١٧١/١٩).

(٣٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي (٥٦٩/١)، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٣/٨).

ومناسبة ابتداء الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأرض: أن البعث هو إخراج أهل الحشر من الأرض، فكانت الأرض أسبق شيء إلى ذهن السامع عند الخوض في أمر البعث، أي بعث أهل القبور(٣٥).

• **المطلب الثاني: قوله تعالى: {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [سورة النبأ:٧]:**

عطف على قوله تعالى: **{الْأَرْضَ مِهَادًا}** [النبأ:٦] فالواو عاطفة (الجبال) على (الأرض)، وعاطفة (أوتادا) على (مهادا)، وهذا من العطف على معمولي عامل واحد، وهو وارد في الكلام الفصيح، وجائز باتفاق النحويين، لأنَّ حرف العطف قائم مقام العامل(٣٦).

والأوتاد: جمع وتد، بفتح الواو وكسر المثناة الفوقية.

والوتد: عود غليظ شيئاً، أسفله أدق من أعلاه، يُدق في الأرض لتشد به أطناب الخيمة، وللخيمة أوتاد كثيرة على قدر اتساع دائرتها. والإخبار عن الجبال بأنها أوتاد على طريقة التشبيه البليغ أي كالأوتاد.

ومناسبة ذكر الجبال: دعا إليها ذكر الأرض، وتشبيهها بالمهاد الذي يكون داخل البيت، فلما كان البيت من شأنه أن يخطر ببال السامع من ذكر المهاد، كانت الأرض مشبهة بالبيت على طريقة المكنية، فشبهت جبال الأرض بأوتاد البيت، تخييلا للأرض مع جبالها بالبيت ومهاده وأوتاده (٣٧).

وأيضاً فإن كثرة الجبال الناتئة على وجه الأرض، قد يخطر في الأذهان أنها لا تناسب جعل الأرض مهادا، فكان تشبيه الجبال بالأوتاد مستملحا بمنزلة حسن الاعتذار، فيجوز أن تكون الجبال مشبهة بالأوتاد في مجرد الصورة مع هذا التخييل، ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة، في أنها تشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها، بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة، لتعديل سبح الأرض في الكرة الهوائية، إذ نتوء الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض، فيعتدل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة (٣٨).

على أن غالب سكان الأرض، وخاصة العرب لهم منافع جمة في الجبال، فمنها مسايلُ الأدوية، وقرارات المياه في سفوحها، ومراعي أنعامهم، ومستعصَمُهم في الخوف، ومراقب الطرق المؤدية إلى ديارهم إذا طرقها العدو. ولذلك كثر ذكر الجبال مع ذكر الأرض.

فكانت جملة (والجبال أوتاداً) إدماجاً معترضاً بين جملة (ألم نجعل الأرض مهادا) وجملة (وخلقناكم أزواجا).

---

(٣٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/١٥).
(٣٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/١٥)..
(٣٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٥).
(٣٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٥).

• **المطلب الثالث: قوله تعالى: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبأ:٨]:**

معطوف على التقرير الذي في قوله تعالى: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}** [النبأ:٦] والتقدير: وأخلقناكم أزواجا؟، فكان التقرير هنا على أصله، إذ المقرر عليه هو وقوع الخلق، فلذلك لم يقل: ألم نخلقكم أزواجا (٣٩).

وعبر هنا بفعل الخلق دون الجعل: لأنه تكوين ذواتهم فهو أدق من الجعل.

وضمير الخطاب للمشركين الذين وجه إليهم التقرير بقوله: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}** ، وهو التفات من طريق الغيبة إلى طريق الخطاب.

والمعطوف عليه وإن كان فعلاً مضارعاً فدخول (لم) عليه صيره في معنى الماضي، لما هو مقرر من أنَّ (لم) تقلب معنى المضارع إلى الماضي، فلذلك حسن عطف (خلقناكم) على (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا) والكل تقرير على شيء مضى (٤٠).

وإنما عدل عن أن يكون الفعل فعلاً مضارعاً مثل المعطوف هو عليه، لأنَّ صيغة المضارع تستعمل لقصد استحضار الصورة للفِعل، كما في قوله تعالى: **{فَتُثِيرُ سَحَابًا}** [فاطر:٩] ، فالإتيان بالمضارع في: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}** يفيد استدعاء إعمال النظر في خلق الأرض والجبال إذ هي مرئيات لهم، والأكثر أن يغفل الناظرون عن التأمل في دقائقها، لتعودهم بمشاهدتها من قبل سن التفكر، فإنَّ الأرض تحت أقدامهم لا يكادون ينظرون فيها، أو أنْ يتفكروا في صنعها، والجبال يشغلهم عن التفكر في صنعها شغلهم بتجشم صعودها، والسير في وعرها، وحراسة سوائمهم من أنْ تضل شعابها، وصرف النظر إلى مسالك العدو، وعند الاعتلاء إلى مراقبها، فأوثر الفعل المضارع مع ذكر المصنوعات الحرية بدقة التأمل واستخلاص الإستدلال، ليكون إقرارهم مما قرروا به على بصيرة فلا يجدوا إلى الإنكار سبيلا (٤١).

وجيء بفعل الماضي في قوله: **{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}** وما بعده: لأنَّ مفاعيل فعل (خلقنا) وما عطف عليه ليست مشاهدة لهم(٤٢).

وذكر لهم من المصنوعات ما هو شديد الاتصال بالناس من الأشياء التي تتوارد أحوالها على مدركاتهم دواما، فإقرارهم بها أيسر لأنَّ دلالتها قريبة من البديهي. وقد أعقب الاستدلال بخلق الأرض وجبالها، بالاستدلال بخلق الناس، للجمع بين إثبات التفرد بالخلق، وبين الدلالة على إمكان إعادتهم، والدليل في خلق الناس على الإبداع العظيم الذي الخلق الثاني من نوعه، أمكن في نفوس المستدل عليهم، قال تعالى: **{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}** [الذاريات:٢١].

---

(٣٩) انظر: تفسير أبي السعود (٨٦/٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٥).

(٤٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/١٥).

(٤١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/١٥).

(٤٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/١٥).

وللمناسبة التي قدمنا ذكرها في توجيه الابتداء بخلق الأرض في الاستدلال فهي أن من الأرض يخرج الناس للبعث، فكذلك ثني بالاستدلال بخلق الناس الأول، لأنهم الذين سيعاد خلقهم يوم البعث، وهم الذين يخرجون من الأرض، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: **{وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۞ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}** [مريم:٦٦-٦٧](٤٣).

وانتصب (أزواجاً) على الحال من ضمير الخطاب في (خلقناكم) لأن المقصود الاستدلال بخلق الناس وبكون الناس أزواجا، فلما كان المناسب لفعل خلقنا أن يتعدى إلى الذوات جيء بمفعوله ضمير ذوات الناس، ولما كان المناسب لكونهم أزواجا، أن يساق مساق إيجاد الأحوال، جيء به حالا من ضمير الخطاب، في (خلقناكم)، ولو صرح له بفعل، لقيل: وخلقناكم وجعلناكم أزواجا، على نحو ما تقدم في قوله: **{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}** [النبأ:٦] ومما يأتي من قوله: **{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا }** [النبأ:٩])(٤٤).

والأزواج: جمع زوج، وهو اسم للعدد الذي يكرر الواحد تكريرة واحدة ، وقد وصف به كما يوصف بأسماء العدد.

- **المراد بـ[أزواجاً]:**

فيه قولان:

الأول: المراد الذكر والأنثى كما قال سبحانه: **{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ}** [النجم:٤٥]

فقوله: (أزواجا) أفاد أن يكون الذكر زوجاً للأنثى والعكس، فالذكر زوج لأنثاه، والأنثى زوج لذكرها (٤٥).

الثاني: أن المراد منه كل زوجين وكل متقابلين من القبيح والحسن، والطويل والقصير، وجميع المتقابلات والأضداد، كما قال تعالى: و **{وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}** [الذاريات:٤٩].

وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة، ونهاية الحكمة، حتى يصح الابتلاء والامتحان، فيتعبد الفاضل بالشكر، والمفضول بالصبر، ويتعرف حقيقة كل شيء بضده، فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب، وإنما يعرف قدر الأمن عند الخوف، فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم(٤٦)

وفي قوله: (وخلقناكم أزواجاً): إيماء إلى ما في ذلك الخلق من حكمة إيجاد قوة التناسل، من اقتران الذكر بالأنثى، وهو مناط الإيماء إلى الاستدلال على

(٤٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٦-١٧).

(٤٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٧).

(٤٥) التفسير الكبير الرازي(٣١/٧)، و التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/١٧).

(٤٦) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٠٣)، وتفسير القرطبي (١٩/١٧١)، والتفسير الكبير للرازي (٣١/٧).

إمكان إعادة الأجساد، فإن القادر على إيجاد هذا التكوين العجيب ابتداء بقوة التناسل، قادر على إيجاد مثله بمثل تلك الدقة أو أدق(٤٧).

وفيه استدلال على عظيم قدرة الله وحكمته، وامتنان على الناس بأنه خلقهم، وأنه خلقهم بحالة تجعل لكل واحد من الصنفين ما يصلح لأن يكون له زوجا، ليحصل التعاون والتشارك في الأنس والتنعم، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف:١٨٩] ولذلك صيغ هذا التقرير بتعليق فعل: (خلقنا) بضمير الناس. وجعل (أزواجا) حالا منه، ليحصل بذلك الاعتبار بكلا الأمرين، دون أن يقال: وخلقنا لكم أزواجا (٤٨).

وفي ذلك حمل لهم على الشكر بالإقبال على النظر فيما بلغ إليهم عن الله، الذي أسعفهم بهذه النعم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعريض بأن إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية، ومكابرتهم فيما بلغهم من ذلك، كفران لنعمة واهب النعم.

• المطلب الرابع: قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} [النبأ:٩]:
• مناسبة الآية لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:

انتقل من الاستدلال بخلق الناس إلى الاستدلال بأحوالهم، وخص منها الحالة التي هي أقوى أحوالهم المعروفة شبها بالموت، الذي يعقبه البعث، وهي حالة متكررة لا يخلون من الشعور بما فيها من العبرة، لأن تدبير نظام النوم وما يطرأ عليه من اليقظة، أشبه حال بحال الموت وما يعقبه من البعث (٤٩).

وأوثر فعل (جعلنا) لأن النوم كيفية يناسبها فعل الجعل لا فعل الخلق المناسب للذوات، كما تقدم في قوله: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا}

فإضافة نوم إلى ضمير المخاطبين ليست للتقييد لإخراج نوم غير الإنسان، فإن نوم الحيوان كله سبات، ولكن الإضافة لزيادة التنبيه للاستدلال، أي أن دليل البعث قائم بيّن في النوم الذي هو من أحوالكم، وأيضا لأن في وصفه بسبات امتنانا، والامتنان خاص بهم، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ} [يونس:٦٧].

والسبات: بضم السين وتخفيف الباء اسم مصدر بمعنى السبت، أي القطع، أي جعلناه لكم قطعا لعمل الجسد، بحيث لا بد للبدن منه.

---

(٤٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧/١٥).
(٤٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/١٥).
(٤٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٨/١٥)، وللسبات معان أخرى، ينظر في ذلك: تفسير القرطبي (١٧١/١٩-١٧٢).

وإنما أوثر لفظ: (سبات) لما فيه من الإشعار بالقطع عن العمل، ليقابله قوله بعده {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ:١١](٥٠).

ويطلق السبات على النوم الخفيف، وليس مراداً في هذه الآية، إذ لا يستقيم أن يكون المعنى: وجعلنا نومكم نوما، ولا نوما خفيفا(٥١).

وفي هذا امتنان على الناس بخلق نظام النوم فيهم، لتحصل لهم راحة من أتعاب العمل، الذي يكدحون له في نهارهم، فالله تعالى جعل النوم حاصلا للإنسان بدون اختياره، فالنوم يلجئ الإنسان إلى قطع العمل، لتحصل راحة لمجموعه العصبي الذي رُكنه في الدماغ، فبتلك الراحة يستجد العصب قواه التي أوهنها عمل الحواس، وحركات الأعضاء وأعمالها، بحيث لو تعلقت رغبة أحد بالسهر، لا بد له من أن يغلبه النوم، وذلك لطف بالإنسان بحيث يحصل له ما به منفعة مداركه قسرا عليه، لئلا يتهاون به(٥٢).

- **المطلب الخامس: قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} [النبأ:١٠]:**
- **مناسبة الآية لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:**

هذه الآية هي من إتمام الاستدلال الذي قبله، وما فيه من المنة، لأن كون الليل لباسا حالة مهيئة لتكيف النوم، ومعينة على هنائه والانتفاع به، لأن الليل ظلمة عارضة في الجو من مزايلة ضوء الشمس عن جزء من كرة الأرض، وبتلك الظلمة تحتجب المرئيات عن الإبصار، فيعسر المشي والعمل والشغل، وينحط النشاط فتتهيأ الأعصاب للخمول، ثم يغشاها النوم فيحصل السبات بهذه المقدمات العجيبة، فلا جرم كان نظام الليل آية على انفراد الله تعالى بالخلق وبديع تقديره(٥٣).

وكان دليلاً على أن إعادة الأجسام بعد الفناء غير متعذرة عليه تعالى فلو تأمل المنكرون فيها لعلموا أن الله قادر على البعث فلما كذبوا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم به، وفي ذلك امتنان عليهم بهذا النظام الذي فيه اللطف بهم وراحة حياتهم لو قدروه حق قدره لشكروه وما أشركوا، فكان تذكر حالة الليل سريع الخطورة بالأذهان عند ذكر حالة النوم فكان ذكر النوم مناسبة للانتقال إلى الاستدلال بحالة الليل على حسب أفهام السامعين(٥٤).

- **معنى : لباساً:**

والمعنيّ من جعل الليل لباساً يحوم حول وصف حالة خاصة بالليل عبر عنها باللباس.

---

(٥٠) انظر: تفسير القرطبي (١٧١/١٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٥).
(٥١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٥).
(٥٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٥).
(٥٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٥-٢٠).
(٥٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠/١٥).

فيجوز أن يكون اللباس محمولاً على معنى الاسم، وهو المشهور في إطلاقه، أي ما يلبسه الإنسان من الثياب، فيكون وصف الليل به على تقدير كاف التشبيه على طريقة التشبيه البليغ، أي جعلنا الليل للإنسان كاللباس له، فيجوز أن يكون وجه الشبه هو التغشية.

وتحته ثلاثة معان:

- المعنى الأول: أن الليل ساتر للإنسان كما يستره اللباس، فالإنسان في الليل يختلي بشؤونه التي لا يرتكبها في النهار، لأنه لا يحب أن تراها الأبصار، وفي ذلك تعريض بإبطال أصل من أصول الدهريين؛ أن الليل رب الظلمة، وهو معتقد المجوس، وهم الذين يعتقدون أن المخلوقات كلها مصنوعة من أصلين أي إلهين: إله النور وهو صانع الخير، وإله الظلمة وهو صانع الشر. ويقال لهم الثنوية لأنهم أثبتوا إلهين اثنين، وهم فرق مختلفة المذاهب في تقرير كيفية حدوث العالم عن ذينك الأصلين، وأشهر هذه الفرق فرقة تسمى المانوية نسبة إلى رجل يقال له: (ماني) فارسي قبل الإسلام، وفرقة تسمى مزدكية نسبة إلى رجل يقال له: (مزدك) فارسي قبل الإسلام.
- المعنى الثاني: من معنيي وجه الشبه باللباس: أنه المشابهة في الرفق باللابس والملاءمة لراحته، فلما كان الليل راحة للإنسان وكان محيطا بجميع حواسه وأعصابه شبه باللباس في ذلك. ونسب مجمل هذا المعنى إلى سعيد بن جبير السدي وقتادة إذ فسروا: (سباتا) سكنا(٥٥).
- المعنى الثالث: أن وجه الشبه باللباس هو الوقاية، فالليل يقي الإنسان من الأخطار والاعتداء عليه، فكان العرب لا يغير بعضهم على بعض في الليل، وإنما تقع الغارة صباحا، ولذلك إذا غير عليهم يصرخ الرجل بقومه بقوله: يا صباحاه. ويقال: صبحهم العدو. وكانوا إذ أقاموا حرسا على الربى ناظورة على ما عسى أن يطرقهم من الأعداء، يقيمونه نهارا فإذا أظلم الليل نزل الحرس.

- **المطلب السادس: قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ:١١]**
- **مناسبة الآية لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:**

لما ذكر خلق نظام الليل قوبل بخلق نظام النهار، فالنهار: الزمان الذي يكون فيه ضوء الشمس منتشرا على جزء كبير من الكرة الأرضية. وفيه عبرة بدقة الصنع وإحكامه، إذ جعل نظامان مختلفان منشؤهما سطوع نور الشمس واحتجابه فوق الأرض، وهما نعمتان للبشر مختلفتان في الأسباب والآثار؛ فنعمة الليل راجعة إلى الراحة والهدوء، ونعمة النهار راجعة إلى العمل والسعي، لأن النهار يعقب الليل، فيكون الإنسان قد استجد راحته، واستعاد نشاطه، ويتمكن من مختلف الأعمال بسبب إبصار الشخوص والطرق.

(٥٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٢٠-٢١).

• **معنى: معاشاً:**

ولما كان معظم العمل في النهار لأجل المعاش، أخبر عن النهار بأنه معاش، وقد أشعر ذكر النهار بعد ذكر كل من النوم والليل بملاحظة أن النهار ابتداء وقت اليقظة التي هي ضد النوم فصارت مقابلتهما بالنهار في تقدير: وجعلنا النهار واليقظة فيه معاشا، ففي الكلام اكتفاء دلت عليه المقابلة، وبذلك حصل بين الجمل الثلاث مطابقتان من المحسنات البديعة لفظا وضمنا (٥٦).

والمعاش: يطلق مصدر عاش إذا حيي، فالمعاش: الحياة ويطلق اسماً لما به عيش الإنسان من طعام وشراب على غير قياس.

والمعنيان صالحان للآية إذ يكون المعنى: وجعلنا النهار حياة لكم، شبهت اليقظة فيه الحياة، أو يكون المعنى: وجعلنا النهار معيشة لكم، والإخبار عنه بأنه معيشة مجاز أيضا بعلاقة السببية لأن النهار سبب للعمل الذي هو سبب لحصول المعيشة، وذلك يقابل جعل الليل سباتا بمعنى الانقطاع عن العمل، قال تعالى: **{وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** [القصص:٧٣]

ففي مقابلة السبات بالمعاش على هذين الاعتبارين مطابقتان من المحسنات(٥٧).

قال ابن الجوزي: "معاشاً أي سبباً لمعاشكم والمعاش العيش، وكل شيء يعاش به فهو معاش، والمعنى: جعلنا النهار مطلبا للمعاش، وقال ابن قتيبة: معاشا أي عيشا وهو مصدر" (٥٨).

• **المطلب السابع: قوله تعالى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا} [النبأ:١٢]:**

• **مناسبة الآية لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:**

ناسب بعد ذكر الليل والنهار وهما من مظاهر الأفق المسمى سماء، أن يتبع ذلك وما سبقه من خلق العالم السفلي، بذكر خلق العوالم العلوية (٥٩).

والبناء: جعل الجاعل أو صنع الصانع بيتاً أو قصراً من حجارة وطين أو من أثواب، أو من أدم على وجه الأرض، والبناء يستلزم الإعلاء على الأرض، فليس الحفر بناء، ولا نقر الصخور في الجبال بناء.

واستعير فعل: (بنينا) في هذه الآية لمعنى: خلقنا ما هو عال فوق الناس، لأن تكوينه عاليا يشبه البناء.

---

(٥٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١/١٥).
(٥٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/١٥).
(٥٨) زاد المسير لابن الجوزي (٥/٩).
(٥٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/١٥).

ولذلك كان قوله: (فوقكم) إيماء إلى وجه الشبه في إطلاق فعل: (بنينا) وليس ذلك تجريدا للاستعارة، لأن الفوقية لا تختص بالمبنيات، مع ما فيه من تنبيه النفوس للاعتبار، والنظر في تلك السبع الشداد(٦٠).

والمراد بالسبع الشداد: السماوات، فهو من ذكر الصفة وحذف الموصوف للعلم به كقوله تعالى: {حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة:١١] ولذلك جاء الوصف باسم العدد المؤنث إذ التقدير: سبع سماوات .

فيجوز أن يراد بالسبع الكواكب السبعة المشهورة بين الناس يومئذ وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. وهذا ترتيبها بحسب ارتفاع بعضها فوق بعض بما دل عليه خسوف بعضها ببعض، حين يحول بينه وبين ضوء الشمس التي تكتسب بقية الكواكب النور من شعاع الشمس.

ويجوز أن يراد بالسماوات السبع طبقات علوية يعلمها الله تعالى، وقد اقتنع الناس منذ القدم بأنها سبع سماوات (٦١).

وشداد: جمع شديدة، وهي الموصوفة بالشدة، والشدة: القوة

والمعنى: أنها متينة الخلق قوية الأجرام لا يختل أمرها ولا تنقص على مر الأزمان(٦٢).

قال مقاتل: هي السموات غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك، وهي فوقكم يا بني آدم فاحذروا أن تعصوا فتخر عليكم (٦٣).

- **المطلب الثامن: قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} [النبأ:١٣]:**
- **مناسبة الآية لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:**

ذكر السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة، ومنَّة على الناس باستفادتهم من نورها ولهم منها فوائد جمة.

والسراج: حقيقته المصباح الذي يستضاء به، وهو إناء يجعل فيه زيت، وفي الزيت خرقة مفتولة تسمى الذبالة، تشعل بنار فتضيء ما دام فيها بلل الزيت. والكلام على التشبيه البليغ، والغرض من التشبيه تقريب صفة المشبه إلى الأذهان. وزيد ذلك التقريب بوصف السراج بالوهاج، أي: الشديد السنا(٦٤).

---

(٦٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/١٥).
(٦١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/١٥).
(٦٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣/١٥).
(٦٣) زاد المسير لابن الجوزي(٥/٩).
(٦٤) انظر: الصحاح في اللغة للجوهري (١ / ٣١٢)

والوهاج: أصله الشديد الوهج بفتح الواو وفتح الهاء، ويقال بفتح الواو وسكون الهاء، وهو الاتقاد يقال: وهجت النار إذا اضطرمت اضطراما شديدا .

الوَهَجُ، بالتحريك: حَرُّ النار. والوَهْجُ بالتسكين: مصدر وَهَجَتِ النار تَهِجُ وَهْجا ووَهَجانا، إذا اتَّقدت. وتَوَهَّجَت النارُ: تَوَقدَت. وأوهجتُها أنا، ولها وَهيجٌ، أي تَوَقدٌ. وتوهَّجَتْ رائحة الطيب، أي توقدت. وتَوَهَّجَ الجوهر: تَلألأ .

ويطلق الوهاج على المتلألئ المضيء، وهو المراد هنا، لأنّ وصف وهاج أجري على سراج، أي سراجا شديد الإضاءة، ولا يقال سراج ملتهب.

قال الراغب: الوهج حصول الضوء والحر من النار. وفي الأساس عد قولهم: سراج وهاج في قسم الحقيقة. وعليه جرى قوله في الكشاف متلالئا وقادا، وتوهجت النار: إذ تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها فإذن يكون التعبير عن الشمس بالسراج في هذه الآية هو موقع التشبيه (٦٥).

فالمعنى: وجعلنا لكم سراجاً وهاجاً، أو وجعلنا في السبع الشداد سراجاً وهاجاً على نحو قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح:١٥-١٦] وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا} [الفرقان:٦١] سواء قدرت ضمير (فيها) عائدا إلى (السماء) أو إلى (البروج) لأنَّ البروج هي بروج السماء(٦٦).

قال الألوسي: "سراجاً وهاجاً: مشرقاً متلألئاً، من وهجت النار إذا أضاءت، أو بالغا في الحرارة، من الوهج، والمراد به الشمس، والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء" (٦٧).

- **المطلب التاسع: قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۞ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۞ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} [النبأ:١٤-١٦]:**
- **مناسبة الآيات لما قبلها وارتباطها بموضوع السورة:**

هذه الآيات فيها استدلال بحالة أخرى من الأحوال التي أودعها الله تعالى في نظام الموجودات، وتلك حالة إنزال ماء المطر من السحاب على الأرض، فتنبت الأرض به سنابل حبٍ وشجرا وكلأ، وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان، وهي حياة النماء، فيكون ذلك دليلا للناس على تصور حالة البعث بعد الموت، بدليل من التقريب الدال على إمكان حدوثه، حتى تضمحل من نفوس المكابرين شبهة استحالة البعث.

---

(٦٥) انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (١ / ٢٠٠)، والصحاح في اللغة للجوهري (٢ / ٢٩٦)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/١٥).

(٦٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤/١٥).

(٦٧) روح المعاني للألوسي(٩/٣٠).

وهذا الذي أشير إليه هنا قد صرح به في مواضع من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ} [ق:٩-١١]

ففي الآيات استدلالان:

- الاستدلال الأول: الاستدلال بإنزال الماء من السحاب.
- الاستدلال الثاني: الاستدلال بالإنبات.

وفي هذا أيضا منّة على المعرضين عن النظر في دلائل صنع الله، التي هي دواع لشكر المنعم بها، لما فيها من منافع للناس من رزقهم ورزق أنعامهم، ومن تنعمهم وجمال مرائيهم، فإنهم لو شكروا المنعم بها، لكانوا عندما يبلغهم عنه أنه يدعوهم إلى النظر في الأدلة مستعدين للنظر. ومناسبة الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب والمطر قوية فمحل تكون السحاب في السماء(٦٨).

والمعصرات: بضم الميم وكسر الصاد السحابات التي تحمل ماء المطر .

قال الكلبي: "وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا: يعني المطر، والمعصرات هي: السحاب، وهو مأخوذ من العصر لأنَّ السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة بمعنى الإغاثة، ومنه: وفيه يعصرون وقيل: هي السموات، وقيل: الرياح" (٦٩).

والثجاج: المنصب بقوة وهو فعال من ثج القاصر إذا انصب، يقال ثج الماء، إذا انصب بقوة، فهو فعل قاصر. وقد يسند الثج إلى السحاب، يقال: ثج السحاب يثج بضم الثاء، إذا صب الماء، فهو حينئذ فعل متعد. ووصف الماء هنا بالثجاج للامتنان(٧٠).

وقد بُيِّنت حكمةُ إنزال المطر من السحاب؛ بأنَّ الله جعله لإنبات النبات من الأرض، جمعا بين الامتنان والإيماء، إلى دليل تقريب البعث، ليحصل إقرارهم بالبعث وشكر الصانع.

(لنخرج) وجيء بهذا الفعل: دون نحو: لننبت، لأنَّ المقصود الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض، إذ ذلك المقصد الأول من هذا الكلام.

والحبّ: اسم جمع حبة، وهي البذرة. والمراد بالحب هنا: الحب المقتات للناس مثل: الحنطة، والشعير، والسلت، والذرة، والأرز، والقطنية، وهي

(٦٨) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف (٢٥/١٥).
(٦٩) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٢/٣)
(٧٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١٥).

الحبوب التي هي ثمرة السنابل ونحوها(٧١).وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته وشرفه لأنَّه غالب غذاء الإنسان(٧٢).

والنبات: أصله اسم مصدر نبت الزرع، قال تعالى: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح:١٧]) وأطلق النبات على النابت من إطلاق المصدر على الفاعل. والمراد به هنا: النبات الذي لا يؤكل حبه، بل الذي ينتفع بذاته، وهو ما تأكله الأنعام والدواب، مثل: التبن والقرط والفصفصة والحشيش وغير ذلك(٧٣).

ووجه إيثار لفظ: (جنات): أن فيه إيماء إلى إتمام المنة لأنهم كانوا يحبون الجنات والحدائق، لما فيها من التنعم بالظلال والثمار والمياه وجمال المنظر، ولذلك أتبعت بوصف: (ألفافا) لأنه يزيدها حسنا.

وألفافٍ اسم جمع لا واحد له من لفظه، وهو مثل: أوزاع وأخياف، فمعنى جناتٍ ألفافا أي: كل جنة ملتفة، أي: ملتفة الشجر بعضه ببعض.

وبهذا الاستدلال والامتنان ختمت الأدلة التي أقيمت لهم على انفراد الله تعالى بالإلهية (٧٤).

• المطلب العاشر: ارتباط معاني الآيات في هذا المبحث بموضوع السورة:

أقام الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الأدلة على انفراده سبحانه وتعالى بالإلهية، وتضمنت الإيماء إلى إمكان البعث وما أدمج فيها من المنن عليهم، عساهم أن يذكروا النعمة فيشعروا بواجب شكر المنعم، ولا يستفظعوا إبطال الشركاء في الإلهية، وينظروا فيما بلغهم عنه من الإخبار بالبعث والجزاء، فيصرفوا عقولهم للنظر في دلائل تصديق ذلك.

قال الكلبي: " وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف، ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول إنَّ الإله الذي قدر على خِلقة هذه المخلوقات العظام، قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد، لأنَّ الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له" (٧٥).

وقد ابتدئت هذه الدلائل بدلائل خلق الأرض وحالتها، وجالت بهم الذكرى على أهم ما على الأرض من الجماد والحيوان، ثم ما في الأفق من أعراض الليل والنهار. ثم تصاعد بهم التجوال بالنظر في خلق السماوات، وبخاصة الشمس، ثم نزل بهم إلى دلائل السحاب والمطر، فنزلوا معه إلى ما

---

(٧١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١٥).

(٧٢) روح المعاني للألوسي (١١/٣٠).

(٧٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١٥).

(٧٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي(٦/٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٢/٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٢٧/١٥-٢٨).

(٧٥) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٢/٣).

يخرج من الأرض من بدائع الصنائع ومنتهى المنافع، فإذا هم ينظرون من حيث صدروا، وذلك من رد العجز على الصدر (٧٦).

وقال الرازي: "اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم إنكار البعث والحشر، وأراد إقامة الدلالة على صحة الحشر، قدم لذلك مقدمة في بيان كونه تعالى قادرا على جميع الممكنات، عالما بجميع المعلومات، وذلك لأنه مهما ثبت هذان الأصلان، ثبت القول بصحة البعث، وإنما أثبت هذين الأصلين بأنْ عدَّدَ أنواعا من مخلوقاته الواقعة على وجه الإحكام والإتقان، فإنَّ تلك الأشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة، ومن جهة إحكامها وإتقانها تدل على العلم، ومتى ثبت هذان الأصلان، وثبت أنَّ الأجسام متساوية في قبول الصفات والأعراض، ثبت لا محالة كونه تعالى قادرا على تخريب الدنيا بسماواتها وكواكبها وأرضها، وعلى إيجاد عالم الآخرة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية النظم" (٧٧).

وقال الألوسي:" وفيما ذكر من أفعاله تعالى شأنه، دلالة على صحة البعث وحقيقته، من أوجه ثلاثة على ما قيل:

الوجه الأول: باعتبار قدرته عز وجل، فإنَّ من قدر على إنشاء تلك الأمور البديعة من غير مثال يحتذيه، ولا قانون ينتحيه، كان على الإعادة أقدر وأقوى.

الوجه الثاني: باعتبار علمه وحكمته، فإنَّ من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع، مستتبع لغايات جليلة، ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق، يستحيل حكمة أنْ لا يجعل لها عاقبة.

الوجه الثالث: باعتبار نفس الفعل، فإنَّ اليقظة بعد النوم، أنموذج للبعث بعد الموت، يشاهده كل واحد، وكذا اخرج الحب والنبات من الأرض، يعاين كل حين، فكأنه قيل: فعلنا أو ألم نفعل، هذه الأفعال الآفاقية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث، الموجبة للإيمان به، فما لكم تخوضون فيه إنكارا، وتسألون عنه استهزاءً(٧٨).

- **المبحث الثالث: تقرير البعث يوم القيامة، وذكر بعض أهواله. الآيات [النبأ: ١٧-٢٠]**
- **المطلب الأول: قوله تعالى: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ:١٧] :**
- **مناسبة الآيات في هذا المبحث لما قبلها:**

الآيات في هذا المبحث هي بيان لما أجمله قوله تعالى: **{عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}** [النبأ٢-٣] ، وهو المقصود من سياق الفاتحة التي افتتحت بها السورة، وهيأت للانتقال مناسبة ذكر الإخراج، من قوله تعالى: **{لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا}** [النبأ:١٥] ، لأن ذلك شبه بإخراج أجساد الناس للبعث،

(٧٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٨/١٥).
(٧٧) التفسير الكبير للرازي (٦/٣١).
(٧٨) روح المعاني للألوسي(١١/٣٠).

كما قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} [ق:٩] إلى قوله سبحانه: {رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ} [ق:١١]

وهو استئناف بياني أعقب به قوله: {لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا} الآية، فيما قصد به من الإيماء إلى دليل البعث(٧٩).

معنى قوله: (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ):
أكد الكلام بحَرف التأكيدَ، لأنَّ فيه إبطالاً لإنكار المشركين، وتكذيبهم بيوم الفصل.

ويوم الفصل: يوم البعث للجزاء.
والفصل: التمييز بين الأشياء المختلطة، وشاع إطلاقه على التمييز بين المعاني المتشابهة والملتبسة فلذلك أطلق على الحكم.

وأوثر التعبير عنه بيوم الفصل لإثبات شيئين: أحدهما: أنه بين ثبوت ما جحدوه من البعث والجزاء وذلك فصل بين الصدق وكذبهم.

وثانيهما: القضاء بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اعتدى به بعضهم على بعض(٨٠).

وإقحام فعل (كان): لإفادة أنّ توقيته متأصل في علم الله، لما اقتضته حكمته تعالى التي هو أعلم بها وأنّ استعجالهم به لا يقدمه على ميقاته(٨١).

والميقات: مفعال مشتق من الوقت، فالميقات جاء على زنة اسم الآلة، وأريد به نفس الوقت المحدد به شيء، مثل: ميعاد، والسياق دل على متعلق ميقات، أي كان ميقاتا للبعث والجزاء(٨٢).

قال ابن كثير: "لما وعد الله من الثواب والعقاب"(٨٣).

وفي الآية رد على المشركين وتساؤلهم عن وقوع يوم البعث، فبيَّن سبحانه وتعالى أنّ وقوعه له وقت محدد، لن يتم تقديمه ولا تأخيره.

- **المطلب الثاني: قوله تعالى: {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ:١٨]:**

(يوم ينفخ في الصور)

قال الألوسي: " أي: النفخة الثانية، (ويوم) بدل من يوم الفصل، أو عطف بيان، مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله"(٨٤).

---

(٧٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/١٥).
(٨٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/١٥)، وانظر: تفسير ابن كثير(٣١٣/٨).
(٨١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٩/١٥).
(٨٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/١٥). وانظر: تفسير ابن كثير(٣١٣/٨).
(٨٣) تفسير ابن كثير(٣١٣/٨).

والصور: البوق. وهو قرن ثور فارغ الوسط، مضيق بعض فراغه، ويتخذ من الخشب أو من النحاس، ينفخ فيه النافخ فيخرج منه الصوت قويا لنداء الناس إلى الاجتماع، وأكثر ما ينادى به الجيش والجموع المنتشرة لتجتمع إلى عمل يريده الآمر بالنفخ(٨٥).

والإتيان: الحضور بالمكان الذي يمشي إليه الماشي فالإتيان هو الحصول.

وحذف ما يحصل بين النفخ في الصور وبين حضورهم، لزيادة الإيذان بسرعة حصول الإتيان، حتى كأنه يحصل عند النفخ في الصور، فتحيون فتسيرون فتأتون.

و(أفواجاً) بمعنى جماعات، زمرًا زمرًا(٨٦).

- **المطلب الثالث: قوله تعالى: {وَفُتِحَتِ السمَاء فَكَانَتْ أَبْوَابًا} [النبأ:١٩]:**

وفتح السماء: انشقاقها بنزول الملائكة من بعض السماوات التي هي مقرهم، نزولا يحضرون به لتنفيذ أمر الجزاء(٨٧).

- **أوجه القراءات في الآية:**

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: (وفُتِّحت) بتشديد الفوقية، وهو مبالغة في فعل الفتح بكثرة الفتح أو شدته، إشارة إلى أنه فتح عظيم، لأنّ شق السماء لا يقدر عليه إلا الله.

وقرأه عاصم وحمزة والكسائي وخلف: بتخفيف الفوقية على أصل الفعل، ومجرد تعلق الفتح بالسماء مشعر بأنه فتح شديد(٨٨).

وفي الفتح عبرة، لأنّ السماوات كانت ملتئمة، فإذا فسد التئامها وتخللتها مفاتح، كان معه انخرام نظام العالم الفاني، قال تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الإنشقاق:١] إلى قوله : {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الإنشقاق:٦]

فالتفتح والفتح سواء في المعنى المقصود، وهو تهويل يوم الفصل.

وفرع على انفتاح السماء بفاء التعقيب(فكانت أبواباً)، أي ذات أبواب.

فقوله: (أبواباً): تشبيه بليغ، أي كالأبواب، وحينئذ لا يبقى حاجز بين سكان السماوات وبين الناس، كما في قوله تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج:٤]

---

(٨٤) روح المعاني للألوسي (١٣/٣٠).

(٨٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣١/١٥).

(٨٦) انظر: تفسير ابن كثير (٣١٣/٨)

(٨٧) انظر: روح المعاني للألوسي (١٣/٣٠)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/١٥).

(٨٨) انظر: العنوان في القراءات السبع لابن خلف (١ / ٣٥)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي(٥٦٩/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢/١٥).

والإخبار عن السماء بأنها أبواب، جرى على طريق المبالغة في الوصف بذات أبواب، للدلالة على كثرة المفاتح فيها، حتى كأنها هي أبواب(٨٩).

- **معنى: [فكانت أبواباً]:**

(كانت) بمعنى: صارت.

والأبواب: جمع باب، وهو الفرجة التي يدخل منها في حائل من سور أو جدار أو حجاب أو خيمة.

والمعنى: فكانت أبوابا أي تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب(٩٠).

- **المطلب الرابع: قوله تعالى: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا} [النبأ:٢٠]:**
- **معنى: [سيرت]:**

التسيير: جعل الشيء سائراً، أي ماشياً. وأطلق هنا على النقل من المكان، أي نقلت الجبال وقلعت من مقارها بسرعة، بزلازل أو نحوها، كما دل عليه قوله تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا} [المزمل:١٤] حتى كأنها تسير من مكان إلى آخر، وهو نقل يصحبه تفتيت، كما دل عليه تعقيبه بقوله: (فكانت سرابا) لأنّ ظاهر التعقيب أنّ لا تكون معه مهلة، أي: فكانت كالسراب في أنها لا شيء.

والسراب: ما يلوح في الصحاري مما يشبه الماء، وليس بماء، ولكنه حالة في الجو القريب تنشأ من تراكم أبخرة على سطح الأرض. قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:٣٩] (٩١).

قال الكلبي: "وسيرت الجبال: أي حملت فكانت سراباً عبارة عن تلاشيها وفنائها، والسراب في اللغة: ما يظهر على البعد أنه ماء وليس ذلك، المراد هنا وإنما هو تشبيه في أنه لا شيء"(٩٢).

وقال الألوسي: " وأيا ما كان فهذا بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق، فالله عز وجل يسير الجبال، ويجعلها هباء منبثا، ويسوي الأرض يومئذ، كما نطق به قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } [طه:١٠٥-١٠٨] وقوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم:٤٨] فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام، وبروز الخلق لله

(٨٩) انظر: روح المعاني (١٤/٣٠)، والتحرير والتنوير (٣٢/١٥).

(٩٠) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٢/٣)

(٩١) التحرير والتنوير (٣٣/١٥-٣٤).

(٩٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٧٢/٣)

تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية، وأما اندكاك الجبال وانصداعها فعند النفخة الأولى (٩٣).

- **المبحث الرابع: بيان جزاء الظالمين يوم القيامة. الآيات[٢١-٣٠]:**
- **المطلب الأول: قوله تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِلْطَاغِينَ مَآبًا} [النبأ:٢١-٢٢]:**
- **الموقع الإعرابي لقوله تعالى: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}**

يجوز فيها وجهان:

الوجه الأول: أن تكون جملة **{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}** في موضع خبر ثانٍ لـ(إنَّ) من قوله: **{إِنَّ يَوْمَ الفصلِ كَانَ مِيقَاتًا}** [النبأ:١٧]

والتقدير: إنَّ يوم الفصل إنَّ جهنم كانت مرصاداً فيه للطاغين، والعائد محذوف دل عليه قوله (مرصادا) أي مرصادا فيه، أي في ذلك اليوم، لأنَّ معنى المرصاد مقترب من معنى الميقات، إذ كلاهما محدد لجزاء الطاغين(٩٤).

الوجه الثاني: يجوز أن تكون مستأنفة استئنافاً بيانياً عن جملة: **{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا}** [النبأ:١٧] وما لحق بها، لأنَّ ذلك مما يثير في نفوس السامعين تطلب ماذا سيكون بعد تلك الأهوال، فأجيب بمضمون: **{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}** الآية.

وابتدئ بذكر جهنم لأنَّ المقام مقام تهديد، إذ ابتدئت السورة بذكر تكذيب المشركين بالبعث(٩٥).

وجهنم: اسم لدار العذاب في الآخرة.

والمرصاد: يجوز فيها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: مكان الرصد، أي: الرقابة. والمعنى: أنَّ جهنم موضع يرصد منه الموكلون بها، ويترقبون من يزجي إليها من أهل الطغيان كما يترقب أهل المرصاد من يأتيه من عدو.

قال ابن جزي: "(مرصاداً) أي موضع المرصد، والرصد هو: الارتقاب والانتظار، أي تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل معناه: طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة، لأنَّ الصراط منصوب على جهنم"(٩٦).

الوجه الثاني: يجوز أنْ يكون مرصاد مصدراً على وزن المفعال، أي رصداً والإخبار به عن جهنم للمبالغة حتى كأنها أصل الرصد، أي لا تفلت أحدا ممن حق عليهم دخولها.

---

(٩٣) روح المعاني للألوسي(١٣/٣٠).
(٩٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٤/١٥).
(٩٥) التحرير والتنوير لابن عاشور(٣٤/١٥). بتصرف.
(٩٦) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٢/٣)

الوجه الثالث: يجوز أن يكون مرصاد، زنة مبالغة للراصد الشديد الرصد، مثل: صفة مغيار ومعطار، وصفت به جهنم على طريقة الاستعارة، ولم تلحقه (ها) التأنيث، لأنّ جهنم شبهت بالواحد من الرصد بتحريك الصاد، وهو الواحد من الحرس الذي يقف بالمرصد، إذ لا يكون الحارس إلا رجلا(٩٧).

ومئابا: مكان الأوب وهو الرجوع، أطلق على المقر والمسكن إطلاقاً أصله كناية ثم شاع استعماله فصار اسما للموضع الذي يستقر به المرء.

ونصب (مئاباً) على الحال من (جهنم) أو على أنه خبر ثان لفعل (كانت) أو على أنه بدل اشتمال من (مرصادا) لأنَّ الرصد يشتمل على أشياء مقصودة، منها أن يكونوا صائرين إلى جهنم(٩٨).

والطغيان: تجاوز الحد في عدم الاكتراث بحق الغير والكبر، ولام التعريف فيه للعهد، فالمراد به المشركون المخاطبون بقوله: (فتأتون أفواجا) فهو إظهار في مقام الإضمار، لقصد الإيماء إلى سبب جعل جهنم لهم، لأنَّ الشرك أقصى الطغيان، إذ المشركون بالله أعرضوا عن عبادته، ومتكبرون على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث أنفوا من قبول دعوته، وهم المقصود من معظم ما في هذه السورة، كما يصرح به قوله تعالى: {**إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**} [النبأ:٢٧-٢٨] هذا وإن المسلمين المستخفين بحقوق الله، أو المعتدين على الناس بغير حق، واحتقارا لا لمجرد غلبة الشهوة لهم حظ من هذا الوعيد، بمقدار اقترابهم من حال أهل الكفر (٩٩).

المطلب الثاني: قوله تعالى: {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ:٢٣]:

(لابثين): اللابث: المقيم بالمكان. وانتصب (لابثين) على الحال من الطاغين.

- **أوجه القراءات في الآية:**

قرأه الجمهور: (لابثين) على صيغة جمع لابث.

وقرأه حمزة وروح عن يعقوب (لبثين) بدون ألف، على صيغة جمع (لبث) من أمثلة المبالغة، مثل: حذر على خلاف فيه، أو من الصفة المشبهة، فتقتضي أنّ اللبث شأنه كالذي يجثم في مكان لا ينفك عنه(١٠٠).

(أحقاباً): الأحقاب: جمع حُقُب بضمتين، وهو زمن طويل نحو الثمانين سنة.

قال ابن كثير: "جمع حُقب، والحُقب الواحد: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة"(١٠١).

---

(٩٧) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٥/١٥).

(٩٨) التحرير والتنوير لابن عاشور(٣٦/١٥). وانظر تفسير ابن كثير: (٣١٤/٨)

(٩٩) التحرير والتنوير لابن عاشور(٣٦/١٥).

(١٠٠) انظر: العنوان في القراءات السبع لابن خلف (١ / ٣٥)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي(٥٦٩/١)، وزاد المسير (٨/٩)، و التحرير والتنوير (٣٦/١٥).

قال ابن عاشور: "وجمعه هنا مراد به الطول العظيم، لأنَّ أكثر استعمال الحقب والأحقاب أن يكون في حيث يراد توالي الأزمان، ويبين هذا الآيات الأخرى الدالة على خلود المشركين، فجاءت هذه الآية على المعروف الشائع في الكلام، كناية به عن الدوام دون انتهاء. وليس فيه دلالة على أنَّ لهذا اللبث نهاية، حتى يحتاج إلى دعوى نسخ ذلك بآيات الخلود، وهو وَهْمٌ لأنَّ الأخبار لا تنسخ " (١٠٢).

- **المطلب الثالث: قوله تعالى: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۞ إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۞ جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ:٢٤-٢٦]:**
- **أوجه الإعراب في قوله تعالى: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا}:**

(يذوقون): حقيقة الذوق: إدراك طعم الطعام والشراب. ويطلق على الإحساس بغير الطعوم مجازيا. وشاع في كلامهم، يقال: ذاق الألم، وعلى وجدان النفس كقوله تعالى: { لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ } [المائدة:٩٥] وقد أستعمل هنا في معنييه حيث نصب (بردا) و(شرابا).

(برداً): والبرد: ضد الحر، وهو تنفيس للذين عذابهم الحر، أي لا يغاثون بنسيم بارد، والبرد ألذ ما يطلبه المحرور.

(ولا شراباً): الشراب: ما يشرب والمراد به الماء الذي يزيل العطش.

(إلا حميماً): الحميم: الماء الشديد الحرارة.

(وغساقاً): الغساق: معناه الصديد الذي يسيل من جروح الحرق وهو المُهْل(١٠٣).

قال ابن جزي: "(حميماً وغساقاً) استثناء من الشراب وهو متصل، والحميم الماء الحار، والغساق صديد أهل النار"(١٠٤).

- **أوجه القراءات في قوله تعالى: {إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} :**

قرأ الجمهور قوله تعالى: {وَغَسَّاقًا} بتخفيف السين.

قرأه حمزة والكسائي وحفص بتشديد السين وهما لغتان فيه (١٠٥).

واستثناء (حميماً وغساقاً) من (برداً) أو(شراباً) على طريقة اللف والنشر المرتب، وهو استثناء منقطع، لأنّ الحميم ليس من جنس البرد في شيء إذ هو

---

(١٠١) تفسير ابن كثير: (٣١٤/٨).

(١٠٢) التحرير والتنوير لابن عاشور(٣٦/١٥-٣٧). تكلم العلماء في مسألة خلود الكفار في جهنم، وهناك من استدل بمثل هذه الآية بعدم خلودهم، ومنهم من حمل الآية على أنها منسوخة، والراجح عند السلف الصالح هو ما ذكره الشيخ من أن المراد بالآية الخلود والدوام. والله تعالى أعلم. وانظر: تفسير ابن كثير: (٣١٥/٨)، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (٢٤٨-٢٥٧).

(١٠٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٧/١٥).

(١٠٤) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٣/٣)

(١٠٥) انظر: العنوان في القراءات السبع لابن خلف (١ / ٣٥)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي(٥٦٩/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٣٧/١٥).

شديد الحر. ولأنّ الغساق ليس من جنس الشراب، إذ ليس المهل من جنس الشراب.

والمعنى: يذوقون الحميم إذ يراق على أجسادهم، والغساق إذ يسيل على مواضع الحرق، فيزيد ألمهم.

وصورة الاستثناء هنا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده في الصورة.

(جزاء): منصوب على الحال من ضمير (يذوقون)، أي حالة كون ذلك جزاء، أي مُجازىً به، فالحال هنا مصدر مؤول بمعنى الوصف، وهو أبلغ من الوصف.

(وفاقاً): الوفاق مصدر وافق، وهو مؤول بالوصف، أي موافقاً للعمل الذي جوزوا عليه، وهو التكذيب بالبعث وتكذيب القرآن، كما دل عليه التعليل بعده بقوله: {إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا} [النبأ:٢٧-٢٨].

فإنَّ ذلك أصل إصرارهم على الكفر، وهما أصلان: أحدهما: عدمي وهو إنكار البعث، والآخر وجودي، وهو نسبتهم الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن للكذب، فعوقبوا على الأصل العدمي بعقاب عدمي وهو حرمانهم من البرد والشراب، وعلى الأصل الوجودي بجزاء وجودي وهو الحميم يراق على أجسادهم والغساق يمر على جراحهم (١٠٦).

- **المطلب الرابع: قوله تعالى: {إِنَهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۞ وَكَذَبُوا بِايَاتِنَا كِذَابًا} [النبأ:٢٧-٢٨]:**
- **أوجه الإعراب لقوله تعالى: {إِنَهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا}:**

موقع هذه الجملة موقع التعليل لجملة: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} [النبأ:٢١] إلى قوله: {جَزَاء وِفَاقا} [النبأ:٢٦]

وضمير (إنهم) عائد إلى (الطاغين).

وحرف (إنَّ) للاهتمام بالخبر، وليست لرد الإنكار، إذ لا ينكر أحد أنهم لا يرجون حسابا، وأنهم مكذبون بالقرآن(١٠٧).

(لا يرجون حساباً) : نفي لرجائهم وقوع الجزاء.

والرجاء أشتهر في ترقب الأمر المحبوب، والحساب ليس خيراً لهم، حتى يجعل نفي ترقبه من قبيل نفي الرجاء، فكان الظاهر أنْ يعبر عن ترقبه بمادة التوقع، الذي هو ترقب الأمر المكروه، فيظهر أنَّ وجه العدول عن التعبير بمادة التوقع إلى التعبير بمادة الرجاء، أنَّ الله لما أخبر عن جزاء الطاغين وعذابهم تلقى المسلمون ذلك بالمسرة، وعلموا أنهم ناجون مما سيلقاه الطاغون، فكانوا مترقبين يوم الحساب ترقب رجاء، فنفي رجاء يوم الحساب عن المشركين

(١٠٦) التحرير والتنوير (١٥/٣٧-٣٨) لابن عاشور.
(١٠٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٥/٣٩).

جامع بصريحه، معنى عدم إيمانهم بوقوعه، وبكنايته رجاءِ المؤمنين وقوعه بطريقة الكناية التعريضية تعريضا بالمسلمين، وهي أيضا تلويحية، لما في لازم مدلول الكلام من الخفاء. ومن المفسرين من فسر (يرجون) بمعنى: يخافون، وهو تفسير بحاصل المعنى، وليس تفسيرا للفظ(١٠٨).

وفعل (كانوا) دال على أنَّ انتفاء رجائهم الحساب، وصف متمكن من نفوسهم، وهم كائنون عليه، وليس المراد بفعل (كانوا) أنهم كانوا كذلك فانقضى، لأنَّ هذه الجملة إخبار عنهم في حين نزول الآية وهم في الدنيا، وليست مما يقال لهم أو عنهم يوم القيامة، وجيء بفعل (يرجون) مضارعا، للدلالة على استمرار انتفاء ما عبر عنه بالرجاء، وذلك لأنهم كلما أعيد لهم ذكر يوم الحساب، جددوا إنكاره وكرروا شبهاتهم على نفي إمكانه(١٠٩).

(حساباً) الحساب: العد، أي عد الأعمال والتوقيف على جزائها، أي لا يرجون وقوع حساب على أعمال العباد يوم الحشر.

قال ابن الجوزي: "(إنهم كانوا لا يرجون حسابا) فيه قولان :

أحدهما: لا يخافون أن يحاسبوا لأنهم لا يؤمنون بالبعث قاله الجمهور

والثاني: لا يرجون ثواب حساب لأنهم لا يؤمنون بالبعث قاله الزجاج" (١١٠).

(وكذبوا): عطف على (لا يرجون)، أي وإنهم كذبوا بآياتنا، أي بآيات القرآن.

والمعنى: كذبوا ما اشتملت عليه الآيات من إثبات الوحدانية، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولكون تكذيبهم بذلك قد استقر في نفوسهم ولم يترددوا فيه، جيء في جانبه بالفعل الماضي.

(كِذَّاباً):كِذَّاب: بكسر الكاف وتشديد الذال مصدر كذَّب. وانتصب (كذابا) على أنه مفعول مطلق مؤكد لعامله، لإفادة شدة تكذيبهم بالآيات (١١١).

- **أوجه القراءات في الآية:**

وردت ثلاثة قراءات في قوله تعالى: (كذابا)

- قرأه الجمهور: (كِذَّابا)، قال ابن عطية: ""وقرأ جمهور الناس (كِذَّابا) بشد الذال وكسر الكاف"(١١٢).

---

(١٠٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٩/١٥). وانظر: تفسير ابن كثير(٨،٣١٥)

(١٠٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠/١٥).

(١١٠) زاد المسير لابن الجوزي (٩/٩)

(١١١) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤١/١٥). بتصرف، وانظر: روح المعاني للألوسي (١٦/٣٠).

(١١٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٢٧/٥).

- (ولا كذابا) بالتخفيف، الكسائي (١١٣).

وقرأ عمر بن عبد العزيز والماجشون كُذَّابا بضم الكاف، وتشديد الذال وخُرِّجَ على أنه جمع كاذِب، كفسَّاق جمع فاسِق(١١٤)، وهي رواية شاذة.

قال ابن عطية: " قال القاضي أبو محمد وأراه أراد السبعة وأما في الشاذ فقرأ علي بن أبي طالب وعوف الأعرابي وعيسى والأعمش وأبو رجاء : (كِذَابا) بكسر الكاف وبتخفيف الذال، وقرأ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (كذّابا) بضم الكاف وشد الذال، على أنه جمع كاذب، ونصبه على الحال قاله أبو حاتم" (١١٥).

- **المطلب الخامس: قوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} [النبأ:٢٩]:**

هذه الآية اعتراض بين الجمل التي سيقت مساق التعليل، وبين جملة: (فذوقوا). وفائدة هذا الاعتراض: المبادة بإعلامهم أنَّ الله لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، فلا يدع شيئا من سيئاتهم إلا يحاسبهم عليه، ما ذكر هنا وما لم يذكر؛ كأنه قيل : إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا، وفعلوا مما عدا ذلك وكل ذلك محصي عندنا(١١٦).

(أحصيناه): الإحصاء: حساب الأشياء لضبط عددها، فالإحصاء كناية عن الضبط والتحصيل.

وانتصب: (كتاباً) على المفعولية المطلقة لـ(إن جهنم كانت مرصاداً) وما أتصل بها، فهو مصدر بمعنى الكتابة، وهو كناية عن شدة الضبط، لأن الأمور المكتوبة مصونة عن النسيان والإغفال، فباعتبار كونه كناية عن الضبط جاء مفعولا مطلقا لـ(أحصينا).

وقال ابن عطية: "وقوله تعالى: "وكل شيء أحصيناه" يريد كل شيء شأنه أن يحضر في هذا الخبر وربط لآخر القصة بأولها أي هم مكذبون وكافرون، ونحن قد أحصينا، فالقول لهم في الآخرة: (ذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)"(١١٧).

- **المطلب السادس: تفسير قوله تعالى: {فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ:٣٠]:**

(فذوقوا) والأمر في (ذوقوا) مستعمل في التوبيخ والتقريع (١١٨).

قال ابن الجوزي: " فذوقوا أي فيقال لهم: ذوقوا جزاء فعالكم " (١١٩).

---

(١١٣) انظر: القراءة الأولى والثانية في: العنوان في القراءات السبع (١ / ٣٥)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥٦٩/١).

(١١٤) روح المعاني للألوسي (١٦/٣٠).

(١١٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(٤٢٧/٥)

(١١٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤١/١٥). بتصرف

(١١٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(٤٢٧/٥-٤٢٨).

(١١٨) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤١/١٥-٤٢).

وفرع على (فذوقوا) ما يزيد تنكيدهم وتحسيرهم، بإعلامهم بأنَّ الله سيزيدهم عذابا فوق ما هم فيه.

(نزيدكم): الزيادة: ضم شيء إلى غيره من جنس واحد أو غرض واحد.

والزيادة المنفية في قوله: {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} يحتمل أن يراد بها وجهان:

- الوجه الأول: يجوز أن تكون زيادة نوع آخر من عذاب يكون حاصلاً لهم، كما في قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل:٨٨]
- الوجه الثاني: ويجوز أن تكون زيادة من نوع ما هم فيه من العذاب بتكريره في المستقبل.

والمعنى: فسنزيدكم عذاباً، زيادة مستمرة في أزمنة المستقبل، فصيغ التعبير عن هذا المعنى بهذا التركيب الدقيق، إذ أبتدئ بنفي الزيادة بحرف تأبيد النفي، وأردف الاستثناء المقتضي ثبوت نقيض حكم المستثنى منه للمستثنى، فصارت دلالة الاستثناء على معنى: سنزيدكم عذابا مؤبدا. وهذا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، وهو أسلوب طريف من التأكيد، إذ ليس فيه إعادة لفظ، فإن زيادة العذاب تأكيد للعذاب الحاصل.

ولما كان المقصود الوعيد بزيادة العذاب في المستقبل جيء في أسلوب نفيه بحرف نفي المستقبل، وهو(لن) المفيد تأكيد النسبة المنفية، وهي ما دل عليه مجموع النفي والاستثناء، فإنْ قيد تأبيد نفي الزيادة الذي يفيده حرف (لن) في جانب المستثنى منه، يسري إلى إثبات زيادة العذاب في جانب المستثنى، فيكون معنى جملة الاستثناء: سنزيدكم عذابا أبدا، وهو معنى الخلود في العذاب. وفي هذا الأسلوب ابتداء مطمع بانتهاء مؤيس، وذلك أشد حزنا وغما بما يوهمهم، أنَّ ما ألقوا فيه هو منتهى التعذيب، حتى إذا ولج ذلك أسماعهم فحزنوا له، أتبع بأنهم ينتظرهم عذاب آخر أشد، فكان ذلك حزنا فوق حزن، فهذا منوال هذا النظم، وهو مؤذن بشدة الغضب (١٢٠).

- **المبحث الخامس: بيان جزاء المؤمنين يوم القيامة: الآيات [٣١-٣٦]:**
- **المطلب الأول: مناسبة الآيات في هذا المبحث لما قبلها:**

في هذه الآيات شروع في بيان أحوال المؤمنين أثر بيان سوء أحوال الكافرين، وقد جرى هذا الانتقال على عادة القرآن في تعقيب الإنذار للمنذرين، بتبشير من هم أهل للتبشير ، فانتقل من ترهيب الكافرين بما سيلاقونه، إلى ترغيب المتقين فيما أعد لهم في الآخرة، من كرامة ومن سلامة مما وقع فيه أهل الشرك (١٢١).

---

(١١٩) زاد المسير لابن الجوزي(١٠/٩).

(١٢٠) التحرير والتنوير لابن عاشور(٤٢/١٥-٤٣).

(١٢١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٣/١٥)، و روح المعاني للألوسي(١٨/٣٠).

قال ابن عطية: " ولما ذكر تعالى أمر أهل النار عقَّب بذكر أهل الجنة ليبين الفرق" (١٢٢).

فالجملة متصلة بجملة: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۞ لِلطَّاغِينَ مَآبًا} [النبأ:٢١-٢٢] وهي مستأنفة استئنافا ابتدائيا مقتضى الانتقال.

- **المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ:٣١]:**

افتتاح الآية بحرف (إنَّ) للدلالة على الاهتمام بالخبر، لئلا يشك فيه أحد.

(للمتقين) المقصود من المتقين: المؤمنون الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ما أمرهم به، واجتنبوا ما نهاهم عنه، لأنهم المقصود من مقابلتهم بالطاغين المشركين.

(مفازاً) المِفاز: مكان الفوز، وهو الظفر بالخير ونيل المطلوب. ويجوز أن يكون مصدرا ميميا بمعنى الفوز، وتنوينه للتعظيم (١٢٣).

أو اسم مكان أي: أنّ للذين يتقون عمل الكفر فوزاً وظفراً بمساعيهم، أو موضع فوز نجاة مما فيه أولئك، أو موضع نجاة (١٢٤).

وتقديم خبر (إنّ) على اسمها للاهتمام به تنويها للمتقين.

والمراد بالمفاز: الجنة ونعيمها. وأوثرت كلمة (مفازاً) على كلمة: الجنة، لأنّ في اشتقاقه إثارة الندامة في نفوس المخاطبين بقوله: (فتأتون أفواجا) وبقوله (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)(١٢٥).

- **المطلب الثالث: تفسير قوله تعالى: {حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} [النبأ:٣٢]:**

(حدائق) : بدل، وذُكر في نوعه ثلاثة أوجه:

- الأول: بدل اشتمال من (مفازاً).
- الثاني: بدل البعض من كل، باعتبار أنه مكان الفوز. والرابط مقدر، وتقديره: حدائق فيه، أو هي في محله، أو نحو ذلك.
- الثالث: جوز أن يكون بدل كل، على الادعاء، أو منصوباً بأعني مقدراً (١٢٦).

والحدائق: جمع حديقة، وهي بستان فيها أنواع الشجر المثمر، زاد بعضهم والرياحين والزهر، وقال الراغب: "قطعة من الأرض ذات ماء، سميت بذلك تشبيها بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء فيها، وكأنه أراد ذات ماء وشجر" (١٢٧).

---

(١٢٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٤٢٨/٥).
(١٢٣) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٣/٣)، و التحرير والتنوير لابن عاشور(٤٣/١٥).
(١٢٤) روح المعاني للألوسي(١٨/٣٠).
(١٢٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٣/١٥-٤٤).
(١٢٦) روح المعاني (١٨/٣٠)، و التحرير والتنوير (٤٤/١٥).
(١٢٧) روح المعاني (١٨/٣٠).

وقال ابن عاشور: "والحدائق: جمع حديقة وهي الجنة من النخيل والأشجار ذوات الساق المحوطة بحائط أو جدار أو حضائر(١٢٨).

(أعناباً): الأعناب: جمع عنب، وهو اسم يطلق على شجرة الكرم، ويطلق على ثمرها.

- **المطلب الرابع: تفسير قوله تعالى: { وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا } [النبأ:٣٣]:**

(وكواعب): الكواعب: جمع كاعب، وهي الجارية التي بلغت سن خمس عشرة سنة ونحوها. ووصفت بكاعب لأنها تكعب ثديها، أي صار كالكعب، أي استدار ونتأ، يقال: كعب بتشديد العين. ولما كان كاعب وصفا خاصا بالمرأة لم تلحقه هاء التأنيث وجمع على فواعل.

(أتراباً): الأتراب: جمع تِرْب بكسر فسكون: وهو المساوي غيره في السن، وأكثر ما يطلق على الإناث. قيل: هو مشتق من التراب، فقيل: لأنه حين يولد يقع على التراب مثل الآخر، أو لأنّ الترب ينشأ مع لدته في سن الصبا يلعب بالتراب.

وقيل: مشتق من الترائب تشبيهاً في التساوي بالترائب، وهي ضلوع الصدر فإنها متساوية (١٢٩).

ويجوز أنْ يكون وصفهم بالأتراب بالنسبة بينهن في تساوي السن لزيادة الحسن، أي لا تفوت واحدة منهن غيرها، أي: فلا تكون النفس إلى إحداهنّ أميل منها إلى الأخرى؛ فتكون بعضهنّ أقل مسرّة في نفس الرجل.

ويجوز أنْ يكون هذا الوصف بالنسبة بينهنّ وبين أزواجهنّ، لأنّ ذلك أحب إلى الرجال في معتاد أهل الدنيا، لأنه أوفق بطرح التكلف بين الزوجين، وذلك أحلى المعاشرة (١٣٠). والله تعالى أعلم

- **المطلب الخامس: تفسير قوله تعالى: { وَكَأْسًا دِهَاقًا } [النبأ:٣٤]:**

(كأساً): قال ابن عاشور: "والكأس: إناء معد لشرب الخمر وهو اسم مؤنث، تكون من زجاج ومن فضة ومن ذهب، وربما ذكر في كتب اللغة أنّ الكأس الزجاجة فيها الشراب، ولم أقف على أنّ لها شكلا معينا يميزها عن القدح، وعن الكوب وعن الكوز، ولم أجد في قواميس اللغة التعريف بالكأس بأنها: إناء الخمر وأنها الإناء ما دام فيه الشراب. وهذا يقتضي أنها لا تختص بصنف من الآنية.... وقد يطلقون على الخمر اسم الكأس" (١٣١).

(دهاقاً): ودهاق: اسم مصدر دهق والدهق والإدهاق: ملء الإناء من كثرة ما صب فيه.

---

(١٢٨) التحرير والتنوير (٤٤/١٥).
(١٢٩) التحرير والتنوير (٤٤/١٥).
(١٣٠) انظر: روح المعاني (١٨/٣٠)، التحرير والتنوير (٤٤/١٥).
(١٣١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٥/١٥).

قال الفيروز أبادي: "دَهَقَ الكأسَ، كجَعَلَهُ مَلأَها، والماءَ أفْرَغَه إفْراغاً شَديداً، ضِدٌّ، كأَدْهَقَه فيهما، ولي دَهْقَةٌ من المالِ أعْطاني منه صَدْرا، والشيءَ كسَرَهُ وقطعَهُ، أو غَمَزَهُ شَديداً، وفلانا ضَرَبَهُ.وكأسٌ دِهاقٌ، ككِتابٍ: مُمْتَلِئَةٌ، أو مُتَتابِعَةٌ، وماءٌ دِهاقٌ: كثيرٌ" (١٣٢).

قال ابن عاشور: " قال ابن عباس: سمعت أبي في الجاهلية يقول: اسقنا كأسا دهاقا، ولذلك أفرد (كأسا)، ومعناه مملوءة خمرا، أي: دون تقتير، لأنّ الخمر كانت عزيزة، فلا يكيل الحانوي للشارب إلا بمقدار، فإذا كانت الكأس ملأى، كان ذلك أسرُّ للشارب"(١٣٣).

وقال ابن الجوزي: ""قوله تعالى: (وكأساً دهاقاً) فيه ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنها الملأى رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد.
- والثاني: أنها المتتابعة رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال ابن جبير وعن مجاهد كالقولين.

والثالث: أنها الصافية قاله عكرمة"(١٣٤).

- **المطلب السادس: تفسير قوله تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا } [النبأ:٣٥]:**

(فيها): في على من يعود الضمير وجهان:

الوجه الأول: أنه يجوز أنْ يكون الضمير عائداً إلى الكأس، فتكون (في) للظرفية المجازية، بتشبيه تناول الندامى للشراب من الكأس، بحلولهم في الكأس على طريق المكنية، وحرف (في) تخييل أو تكون (في) للتعليل.

فيكون المعنى: لا يسمعون لغواً ولا كذاباً منها أو عندها، فتكون الجملة صفة ثانية لـ(كأساً). والمقصود منها أنَّ خمر الجنة سليمة مما تسببه خمر الدنيا من آثار العربدة من هذيان، وكذب وسباب، واللغو والكذب من العيوب التي تعرض لمن تدب الخمر في رؤوسهم، أي: فأهل الجنة ينعمون بلذة السكر المعروفة في الدنيا قبل تحريم الخمر، ولا تأتي الخمر على كمالاتهم النفسية كما تأتي عليها خمر الدنيا (١٣٥).

الوجه الثاني: أنه يجوز أنْ يعود ضمير (فيها) إلى (مفازاً) باعتبار تأويله بالجنة، لوقوعه في مقابلة (جهنم) من قوله: **{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}** [النبأ:٢١] أو لأنه أبدل (حدائق) من (مفازا). وهذا المعنى نشأ عن أسلوب نظم الكلام حيث قدم (حدائق وأعنابا) إلخ، وأخر (وكأسا دهاقا) حتى إذا جاء

(١٣٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٢ / ٤٦٤)

(١٣٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(١٥/٤٥).

(١٣٤) زاد المسير لابن الجوزي(٩/١٠-١١).

(١٣٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٤٥-٤٦).

ضمير (فيها) بعد ذلك، جاز إرجاعه إلى الكأس وإلى المفاز. وهذا من بديع الإيجاز مع وفرة المعاني، مما يعد من وجوه الإعجاز من جانب الأسلوب.

أي: لا يسمعون في الجنة الكلام السافل ولا الكذب. فلما أحاط بأهل جهنم أشد الأذى بجميع حواسهم، من جراء حرق النار وسقيهم الحميم، والغساق لينال العذاب بواطنهم كما نال ظاهر أجسادهم، كذلك نفى عن أهل الجنة أقل الأذى، وهو أذى سماع ما يكرهه الناس، فإن ذلك أقل الأذى (١٣٦).

وكني عن انتفاء اللغو والكِذّاب عن شاربي خمر الجنة، بأنهم لا يسمعون اللغو والكذاب فيها، لأنه لو كان فيها لغو وكذب لسمعوه، وهو نوع من لطيف الكناية، لأنَّ فيه إيماء إلى أنَّ أهل الجنة منزهة أسماعهم عن سقط القول وسفل الكلام، وذلك كما في قوله تعالى: {**لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا**} [الواقعة:٢٥]

واللغو: الكلام الباطل والهذيان وسقط القول الذي لا يورد عن روية ولا تفكير (١٣٧).

(كذاباً): الكذاب: سبق بيانه في تفسير قوله تعالى: {**وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا**} [(٢٨) سورة النبأ] (١٣٨).

- **أوجه القراءات في الآية:**
  - قرأ الجمهور: (كذّابا) هنا مشدداً.
  - وقرأه الكسائي هنا بتخفيف الذال(١٣٩).

- **المطلب السابع: تفسير قوله تعالى: {جَزَاء من ربكَ عَطَاء حِسَابًا} [[٣٦] سورة النبأ]:**

(جزاءً): الجزاء: إعطاء شيء عوضاً على عمل. ويجوز أن يجعل الجزاء على أصل معناه المصدري، وينتصب على المفعول المطلق الآتي بدلاً من فعل مقدر. والتقدير: جزينا المتقين.

وانتصب (جزاء) على الحال من (مفازا).

وأصل الجزاء مصدر جزى، ويطلق على المجازي به من إطلاق المصدر على المفعول، فالجزاء هنا المجازى به وهو الحدائق والجنات والكواعب والكأس.

(من ربك): إضافة رب إلى ضمير المخاطب مراد به النبي صلى الله عليه وسلم، للإيماء إلى أن جزاء المتقين بذلك يشتمل على إكرام النبي صلى الله

---

(١٣٦) انظر: التحرير والتنوير (٤٦/١٥).

(١٣٧) التحرير والتنوير (٤٦/١٥-٤٧).

(١٣٨) في المطلب الرابع من المبحث الرابع.

(١٣٩) انظر: إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين الدمياطي (٥٦٩/١)، والعنوان في القراءات السبع، لابن خلف (٣٥/١)تفسير ابن كثير (٣١٦/٨)

عليه وسلم، لأن إسداء هذه النعم إلى المتقين كان لأجل إيمانهم به، وعملهم بما هداهم إليه.

و(مِن): ابتدائية، أي صادراً من لدن الله، وذلك تنويه بكرم هذا الجزاء وعظم شأنه.

ووصف الجزاء بعطاء وهو اسم لما يعطى، أي يتفضل به بدون عوض للإشارة إلى أن ما جوزوا به أوفر مما عملوه، فكان ما ذكر للمتقين من المفاز وما فيه جزاء شكراً لهم، وعطاءً كرما من الله تعالى، وكرامة لهذه الأمة، إذ جعل ثوابها أضعافا(١٤٠).

(حساباً): حساباً: اسم مصدر حسب بفتح السين يحسب بضمنها، إذا عد أشياء وجميع ما تصرف من مادة حسب متفرع عن معنى العد وتقدير المقدار، فوقع (حسابا) صفة (جزاء)، أي: هو جزاء كثير مقدر على أعمالهم.

والتنوين فيه للتكثير، والوصف باسم المصدر للمبالغة، وهو بمعنى المفعول، أي محسوبا مقدرا بحسب أعمالهم، وهذا مقابل ما وقع في جزاء الطاغين من قوله: {جَزَاء وِفَاقًا} [النبأ:٢٦] (١٤١).

ويجوز أن يكون (حساباً) اسم مصدر أحسبه، إذا أعطاه ما كفاه.

قال الكلبي: "عطاء حساباً أي كافياً، من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل: معناه على حسب أعمالهم"(١٤٢).

- **أوجه القراءات في الآية:**

في لفظ(حسابا) وردت عدة قراءات وهي:

قرأ الجمهور: (حِسَابا) وهو صفة لعطاء، أي كافياً من قولهم أحسبني الشيء أي كفاني، وقال مجاهد معنى حسابا هنا بتقسيط على الأعمال، أو دخول الجنة برحمة الله، والدرجات فيها على قدر الأعمال، فالحساب هنا بموازنة الأعمال.

وقرأ ابن قطيب: (حَسّاباً) بفتح الحاء وشد السين، قال ابن جني: بني فعالاً من أفعل، كدراك من أدرك، انتهى فمعناه: محسبا أي كافيا .

وقرأ شريح بن يزيد الحمصي وأبو البرهشيم: (حِسّابا) بكسر الحاء وشد السين، وهو مصدر مثل كذاب أقيم مقام الصفة أي إعطاء محسبا أي كافيا.

وقرأ ابن عباس وسراح: حسِناً بالنون من الحسن.

وحكى عنه المهدوي: حَسَبا بفتح الحاء وسكون السين والباء، نحو قولك حسبك كذا أي كافيك (١٤٣).

---

(١٤٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٤٧).

(١٤١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٤٧-٤٨).

(١٤٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٣/٢٧٣).

- **المبحث السادس: بيان موقف الخلائق بين يدي الله تعالى يوم القيامة. الآيات [النبأ:٣٧-٤٠]**
- **المطلب الأول: تفسير قوله تعالى: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ:٣٧]:**
- **أوجه القراءات في الآية:**
  - قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر برفع (ربُّ) ورفع (الرحمنُ)
  - وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب بخفضهما.
  - وقرأه حمزة والكسائي وخلف بخفض (ربِّ) ورفع (الرحمنُ) (١٤٤).
- **توجيه القراءات السابقة:**

قال أبو حيان: "في الجر على البدل من ربك، والرحمن صفة، أو بدل من رب أو عطف بيان، وهل يكون بدلا من ربك؟ فيه نظر لأنّ البدل الظاهر أنه لا يتكرر، فيكون كالصفات، والرفع على إضمار هو رب، أو على الابتداء وخبره لا يَمْلِكونَ"(١٤٥).

وقال ابن عاشور: "فأما قراءة رفع الاسمين فـ(رب) خبر مبتدأ محذوفٍ، وهو ضمير يعود على قوله: (من ربك) على طريقة حذف المسند إليه حذفا سماه السكاكي حذفا لاتباع الاستعمال الوارد على تركه، أي: في المقام الذي يجري استعمال البلغاء فيه على حذف المسند إليه، وذلك إذا جرى في الكلام وصف ونحوه لموصوف، ثم ورد ما يصلح أنْ يكون خبرا عنه، أو أنْ يكون نعتا له فيختار المتكلم أنْ يجعله خبرا لا نعتا، فيقدر ضمير المنعوت ويأتي بخبر عنه، وهو ما يسمى بالنعت المقطوع.

والمعنى: إن ربك هو ربهم لأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، ولكنَّ المشركين عبدوا غيره جهلا وكفرا لنعمته. و(الرحمن) خبر ثان.

وأما قراءة جر الاسمين فهي جارية على أنّ (رب السماوات) نعت لـ(ربك) من قوله: (جزاء من ربك) و(الرحمن) نعت ثان(١٤٦).

- **[رب السماوات والأرض وما بينهما]:**

الرب: المالك المتصرف بالتدبير ورعي الرفق والرحمة.

والمراد بالسماوات والأرض وما بينهما: مسماها مع ما فيها من الموجودات، لأنّ اسم المكان قد يراد به ساكنه.

والمراد بما بين السماوات والأرض: ما على الأرض من كائنات وما في السماوات من الملائكة وما لا يعلمه بالتفصيل إلا الله، وما في الجو من المكونات حية وغيرها من أسحبة وأمطار وموجودات سابحة في الهواء.

---

(١٤٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان(٤٠٧/٨).

(١٤٤) انظر: العنوان في القراءات السبع - (١ / ٣٥)، و إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥٦٩/١)، حجة القراءات لأبي زرعة (٧٤٧/١)، وروح المعاني (١٩/٣٠)، و تفسير البحر المحيط لأبي حيّان (٤٠٧/٨).

(١٤٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيّان(٤٠٧/٨).

(١٤٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٨/١٥).

و(ما) موصولة وهي من صيغ العموم، وقد استفيد من ذلك تعميم ربوبيته على جميع المصنوعات (١٤٧).

(الرحمن): وأتبع وصف (رب السماوات) بذكر اسم من أسمائه الحسنى وهو اسم (الرحمن) وخص بالذكر دون غيره من الأسماء الحسنى، لأنّ في معناه إيماء إلى أنّ ما يفيضه من خير على المتقين في الجنة هو عطاء رحمان بهم(١٤٨).

(لا يملكون) في على من يعود الضمير عدة أقوال:

- الأول: عائد على المشركين قاله عطاء عن ابن عباس، أي لا يخاطب المشركون الله، أما المؤمنون فيشفعون ويقبل الله ذلك منهم.
- الثاني: وقيل: عائد على المؤمنين، أي لا يملكون أن يخاطبوه في أمر من الأمور، لعلمهم أنّ ما يفعله عدل منه.
- الثالث: قيل: عائد على أهل السماوات والأرض.

(منه): الضمير فيه عائد على الله سبحانه وتعالى.

والمعنى: أنهم لا يملكون من الله أنْ يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب، خطاباً واحداً يتصرفون فيه تصرف الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه(١٤٩).

- **المطلب الثاني: تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ:٣٨]**

(يوم): متعلق بقوله: (لا يملكون منه خطابا)، أي لا يتكلم أحد يومئذ إلا من أذن له الله.

(يقوم) القيام: الوقوف وهو حالة الاستعداد للعمل الجد، وهو من أحوال العبودية الحق التي لا تستحق إلى لله تعالى(١٥٠).

(الرُّوحُ): قال ابن عاشور: "و(الروح): اختلف في المراد منه اختلافا أثاره عطف الملائكة عليه فقيل هو جبريل.

وتخصيصه بالذكر قبل ذكر الملائكة المعطوف عليه لتشريف قدره بإبلاغ الشريعة، وقيل المراد: أرواح بني آدم" (١٥١).

قلت: وقد وردت أقوال أخرى كثيرة في بيان معنى (الروح) (١٥٢)، ولم أذكرها لأني أرجح أنَّ هذه الكلمة ينبغي التوقف في معناها، وذلك لأنَّ الله

(١٤٧) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٢٧٤/٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٤٩/١٥).
(١٤٨) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٩/١٥).
(١٤٩) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٤٠٧/٨).
(١٥٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥١/١٥).
(١٥١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥١/١٥).
(١٥٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩/٨)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/٣٠).

تعالى يقول: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء:٨٥].

(والملائكة): عطف على (الروح)، أي: ويقوم الملائكة صفاً.

(صفاً): الصف اسم للأشياء الكائنة في مكان بجانب بعضها بعضاً كالخط. وإنما يصطف الناس في المقامات التي يكون فيها أمر عظيم، فصف الملائكة تعظيم لله وخضوع له.

(لا يتكلمون): جملة مؤكدة لجملة(لا يملكون منه خطاباً) أعيدت بمعناها، لتقرير المعنى إذ كان المقام حقيقا، فالتقرير لقصد التوصل به إلى الدلالة على إبطال زعم المشركين شفاعة أصنامهم لهم عند الله، وهي دلالة بطريق الفحوى فإنه إذا نفي تكلمهم بدون إذن نفيت شفاعتهم إذ الشفاعة كلام من له وجاهة وقبول عند سامعه (١٥٣).

وعلى من يعد الضمير فيه أقوال:

- الأول: أنَّ الضمير يعود على الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ. وهو الظاهر من سياق الآية.
- الثاني: وقال ابن عباس: عائد على الناس، فلا يتكلم أحدٌ إلا بإذن منه تعالى، ونطق بالصواب.
- الثالث: وقال عكرمة: الصواب: لا إله إلا الله، أي: قالها في الدنيا"(١٥٤).
- الرابع: أنه عائد إلى ما عاد إليه ضمير (يملكون) (١٥٥).

(أذِن): والإذن: اسم للكلام الذي يفيد إباحة فعل للمأذون، وهو مشتق من: أذن له، إذا استمع إليه(١٥٦).

ومتعلق (أذِن) محذوف دل عليه: (لا يتكلمون)، أي من أذن له في الكلام.

ومعنى أذِنَ له الرحمان: أن من يريد التكلم لا يستطيعه أو تعتريه رهبة، فلا يقدم على الكلام حتى يستأذن الله فأذن له، وإنما يستأذنه إذا ألهمه الله للاستئذان، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } [الأنبياء:٢٨]

أي لمن علموا أن الله ارتضى قبول الشفاعة فيه، وهم يعلمون ذلك بإلهام، هو من قبيل الوحي، لأنَّ الإلهام في ذلك العالم لا يعتريه الخطأ.

(الرحمن): إطلاق صفة (الرحمن) على مقام الجلالة، إيماء إلى أنّ إذْنَ الله لمن يتكلم في الكلام أثر من آثار رحمته، لأنه أذنٌ فيما يحصل به نفع لأهل المحشر من شفاعة أو استغفار.

---

(١٥٣) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥١/١٥).
(١٥٤) تفسير البحر المحيط لأبي حيّان (٤٠٧/٨).
(١٥٥) انظر: تفسير ابن كثير (٣١٠/٨)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٥١/١٥).
(١٥٦) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥١/١٥).

وجملة (وقال صواباً) يجوز أنْ تكون في موضع الحال من اسم الموصول، أي وقد قال المأذون له في الكلام صوابا، أي بإذن الله له في الكلام إذا علم أنه سيتكلم بما يرضي الله.

ويجوز أن تكون عطفاً على جملة (أذن له الرحمن)، أي وإلا من قال صواباً، فعلم أنّ من لا يقول الصواب لا يؤذن له.

وفعل (وقال صواباً) مستعمل في معنى المضارع، أي ويقول صواباً، فعبر عنه بالماضي لإفادة تحقق ذلك، أي في علم الله (١٥٧).

قال الزمخشري: هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذوناً لهم في الكلام، وأن يتكلم بالصواب، فلا يشفع لغير مرتضى، لقوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } [الأنبيَاء:٢٨] " (١٥٨).

- **المطلب الثالث: تفسير قوله تعالى: {ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ:٣٩]:**

استئناف ابتدائي فيه تنويه وشارة لما تقدم من وعيد ووعد، وإنذار وتبشير، والمقصود التنويه بعظيم ما يقع فيه من الجزاء بالثواب والعقاب، وهو نتيجة أعمال الناس من يوم وجود الإنسان في الأرض(١٥٩).

(ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) وصف اليوم بالحق يجوز فيه ثلاثة أوجه (١٦٠):

- أن يراد به الثابت الواقع. قال ابن كثير: " الكائن لا محالة"(١٦١).
- أنْ يراد بالحق ما قابل الباطل، أي العدل وفصل القضاء .
- أن يكون الحق بمعنى الحقيق بمسمى اليوم.

والإشارة بقوله (ذلك) إلى اليوم المتقدم في قوله: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ:١٧] ومفاد اسم الإشارة في مثل هذا المقام، التنبيه على أنّ المشار إليه حقيق بما سيوصف به، بسبب ما سبق من حكاية شؤونه.

وتعريف (اليوم) باللام للدلالة على معنى الكمال، أي: هو الأعظم من بين ما يعده الناس من أيام النصر للمنتصرين، لأنه يوم يجمع فيه الناس كلهم، ويعطى كل واحد منهم ما هو أهله من خير أو شر، فكأنَّ ما عداه من الأيام المشهورة في تاريخ البشر غير ثابت الوقوع (١٦٢). وفرع عليه (فمن شاء اتخذ إلى ربه مئابا) بفاء الفصيحة لإفصاحها عن شرط مقدر ناشئ عن الكلام

(١٥٧) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥١/١٥).
(١٥٨) الكشاف للزمخشري (٧ / ٢٢٣).
(١٥٩) التحرير والتنوير لابن عاشور(٥٣/١٥). بتصرف
(١٦٠) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٤/١٥).
(١٦١) تفسير ابن كثير (٣١٠/٨)
(١٦٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٥/١٥).

السابق، والتقدير: فإذا علمتم ذلك كله فمن شاء اتخاذ مآبًا عند ربه فليتخذه، أي: فقد بان لكم ما في ذلك اليوم من خير وشر، فليختر صاحب المشيئة ما يليق به للمصير في ذلك اليوم. والتقدير: مآبًا فيه، أي في اليوم.

وهذا التفريع من أبدع الموعظة بالترغيب والترهيب عند ما تسنح الفرصة للواعظ من تهيؤ النفوس لقبول الموعظة.

والاتخاذ: مبالغة في الأخذ، أي أخذ أخذاً يشبه المطاوعة في التمكن.

والاتخاذ: الاكتساب والجعل، أي ليقتن مكاناً، بأن يؤمن ويعمل صالحاً لينال مكانا عند الله، لأنّ المآب عنده لا يكون إلا خيرا.

فقوله : (إلى ربه) دل على أنه مآب خير، لأنّ الله لا يرضى إلا بالخير (١٦٣).

(مآباً): المآب: يكون اسم مكان من آب إذا رجع، فيطلق على المسكن، لأنّ المرء يؤوب إلى مسكنه، ويكون مصدرا ميميا وهو الأوب، أي الرجوع، كقوله تعالى: { إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ} [الرعد:٣٦] ، أي رجوعي، أي فليجعل أوبا مناسبا للقاء ربه، أي أوبا حسنا.

قال ابن كثير: " مرجعا وطريقا يهتدي إليه ومنهجا يمر به عليه"(١٦٤).

- **المطلب الرابع: تفسير قوله تعالى: { إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا} [النبأ:٤٠]:**

(إنا أنذرناكم عذابا قريبا)اعتراض بين (مئابا) وبين (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) كيفما كان موقع ذلك الظرف حسبما يأتي. والمقصود من هذه الجملة الإعذار للمخاطبين، بقوارع هذه السورة، بحيث لم يبق بينهم وبين العلم بأسباب النجاة وضدها شبهة ولا خفاء (١٦٥).

والإنذار: الإخبار بحصول ما يسوء في مستقبل قريب.

وعبر عنه بالماضي لأنّ أعظم الإنذار قد حصل بما تقدم من قوله: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} [النبأ:٢١] إلى قوله: {فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ:٣٠](١٦٦).

وقوله: {عَذَابًا قَرِيبًا } يعني: يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبًا، لأن كل ما هو آتٍ آت(١٦٧).

(يوم ينظر المرء) أي: يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله: { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف : ٤٩] (١٦٨).

---

(١٦٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٥/١٥).

(١٦٤) تفسير ابن كثير (٣١٠/٨).

(١٦٥) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٥/١٥).

(١٦٦) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية(٤٢٩/٥)، و زاد المسير لابن الجوزي(١٣/٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور(٥٦/١٥).

(١٦٧) تفسير ابن كثير (٣١٠/٨).

والمراد: ينظر الإنسان من ذكر أو أنثى، ما قدمت يداه. وهذا يعلم من استقراء الشريعة الدال على عموم التكاليف للرجال والنساء إلا ما خص منها بأحد الصنفين لأنَّ الرجل هو المستحضر في أذهان المتخاطبين عند التخاطب(١٦٩).

وتعريف (المرء) تعريف الجنس المفيد للاستغراق.

قال الكلبي: " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر، والعموم أحسن، لأنَّ كل أحد يرى ما عمل، لقوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧-٨] (١٧٠).

(قدمت) التقديم: تسبيق الشيء والابتداء به.

و(ما قدمت يداه): هو ما أسلفه من الأعمال في الدنيا من خير أو شر، فلا يختص بما عمله من السيئات، فقد قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران:٣٠]

وخص بالذكر من عموم المرء الإنسان الكافر الذي يقول: (يا ليتني كنت ترابا) لأنَّ السورة أقيمت على إنذار منكري البعث، فكان ذلك وجه تخصيصه بالذكر، أي يوم يتمنى الكافر أنه لم يخلق من الأحياء فضلا عن أصحاب العقول المكلفين بالشرائع، أي يتمنى أن يكون غير مدرك ولا حساس، بأنْ يكون أقل شيء مما لا إدراك له وهو التراب، وذلك تلهف وتندم على ما قدمت يداه من الكفر.

وقد كانوا يقولون: {وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} [الإسراء:٤٩] فجعل الله عقابهم بالتحسر وتمني أنْ يكونوا من جنس التراب.

وذكر وصف الكافر يفهم منه أن المؤمن ليس كذلك، لأنَّ المؤمن وإن عمل بعض السيئات وتوقع العقاب على سيئاته، فهو يرجو أن تكون عاقبته إلى النعيم، وقد قال الله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا } [آل عمران:٣٠] وقال سبحانه: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۞ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة:٦-٨] ، فالمؤمنون يرون ثواب الإيمان، وهو أعظم ثواب، وثواب حسناتهم على تفاوتهم فيها، ويرجون المصير إلى ذلك الثواب، وما يرونه من سيئاتهم لا يطغي على ثواب حسناتهم، فهم كلهم يرجون المصير إلى النعيم،

---

(١٦٨) تفسير ابن كثير (٣١٠/٨).

(١٦٩) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٧/١٥).

(١٧٠) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(٢٧٥/٣)

وقد ضرب الله لهم أو لمن يقاربهم مثلاً بقوله: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف:٤٦] على ما في تفسيرها من وجوه (١٧١).

قال ابن جزي: " (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا، فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا، أي لم يخلق، وروى أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا، فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها، وهذا يقوى الأول، وقيل الكافر هنا: إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته، لما رأى ثوابهم، وقد كان احتقر التراب في قوله: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } [ص:٧٦] "(١٧٢). والله تعالى أعلم.

- **الفصل الثالث: أبرز الهدايات الربانية، والأحكام الشرعية من دراسة سورة النبأ.**
  - المبحث الأول: تعميق توحيد الربوبية.
  - المبحث الثاني: الحذر من الصفات المذمومة.
  - المبحث الثالث: الاستعداد ليوم البعث.

• الخاتمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فقد تناول هذا البحث تفسير سورة النبأ، تفسيراً موضوعياً.وقد وجمعت فيه أقوال المفسرين، واخترت منها ما يناسب كتابة هذا البحث، وخرجت من هذا البحث بنتائج وتوصيات، أذكرها فيما يأتي:

• أهم نتائج البحث:

- سورة النبأ سورة مكية باتفاق المفسرين، وهي تتميز بطابع السور المكية.
- موضوع السورة الرئيسي: قضية البعث.
- اشتملت السورة على الكثير من الهدايات الربانية(١٧٣)، ومن ذلك:
- مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية في كل الآيات من قوله: (ألم نجعل الأرض مهادا) إلى قوله: (وجنات ألفافا) .
- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد، وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت ونافٍ ، ومصدق ومكذب .
- سيحصل العلم الكامل بهذه المسائل المختلف فيها بين الناس عند نزع الروح ساعة الموت ، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها إذ قضي الأمر وانتهى الخلاف.

---

(١٧١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٨/١٥). بتصرف

(١٧٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي(٢٧٦/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣١١/٨).

(١٧٣) المرجع لبعض هذه الهدايات التي سأوردها هو: أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري، (٥٠٥/٥)

- التنديد بالطغيان وبيان جزاء الظالمين .
- التنديد بالتكذيب بالبعث والمكذبين به .
- أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم كلها محصاة عليها ويجزون بها .
- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر آثارها . وبيان شدة الموقف وصعوبة المقام فيه.
- أبديّة العذاب في الدار الاخرة وعدم امكان نهايته .
- بيان كرامة المتقين وفضل التقوى .
- وصف جميل لنعيم الجنة .
- ذم الكذب واللغو وأهلهما .
- الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد.

• أهم توصيات البحث:

أشجع الباحثين على دراسة السور القرآنية، وتفسيرها تفسيراً موضوعياً بأسلوب سهل وميسر، مع إبراز الهدايات الربانية في الآيات، وإكمال دراسة جميع سور القرآن وإخراجها على شكل تفسير موحد، وختاما أسأل الله تعالى أن يعلمنا العلم النافع، وأن يجعلنا هداة مهديين، وأن يغفر لنا ذنوبنا وخطايانا، إنه سميع مجيب...آمين

• فهرس المراجع والمصادر:

- «القرآن الكريم».
- «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر». الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني. تحقيق: أنس مهرة، ط:٢، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ١٩٩٨م.
- «الإتقان في علوم القرآن». السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن.ط:٢، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- «أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير» لأبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة-ط:الثالثة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)
- «التحرير والتنوير» . للأستاذ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، تونس – دار سحنون ، ط: بدون.
- «التسهيل لعلوم التنزيل». ابن جزي أبو عبد الله محمد المدعو بالقاسم ابن أحمد بن محمد بن جزى الكلبي، مكتبة مشكاة الإسلامية، المكتبة الشاملة.
- «تفسير البحر المحيط»، أبو حيّان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل، ط:١، بيروت- لبنان:دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.
- «تفسير القرآن العظيم» ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، ط:٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- «الجامع لأحكام القرآن»، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط:٣، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، ط:بدون، بيروت-لبنان: دار الندوة الجديدة.
- «حجة القراءات»، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق : سعيد الأفغاني، ط:٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.١٤٠٢ - ١٩٨٢.
- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للعلامة الألوسي أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود ، البغدادي، ط: بدون، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
- «زاد المسير في علم التفسير»، تأليف: ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط:٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، الجوهري إسماعيل بن حماد ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، (دار الكتاب العربي). مصدر الكتاب : موقع الوراقhttp://www.alwarraq.com
- «العنوان في القراءات السبع»، لابن خلف المقرئ ،مصدر الكتاب : موقع الوراق
- http://www.alwarraq.com
- «القاموس المحيط»، للعلامة: الفيروزأبادي مجدالدين محمد بن يعقوب، ط:٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- «مباحث في التفسير الموضوعي»، لمصطفى مسلم ط:٢، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- «معالم التنزيل»، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: حمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط:٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.